عودة رودولف

راسندل

عودة رودولف راسندل

رواية

محمود باشا العبساوى

إهداء إلى روح والدتي❤
. . من علمتني كيف أمسك بالقلم❤

الفصل الأول

"رسالة من صديقٍ قديم"

منذ عودتي من زيارة روريتانيا؛ تلك البلدة حيث مررت بمو اقفٍ لا تُنسى وأحداث تفوق خيال سريرتي؛ فخضت مغامرات رائعة، وشهدت من المخاطر ما لم يرد في حياتي بأثرها، و أنا أتابع كافة أخبارها بدوامٍ مستمرٍ في الصحف، وأستبشر بمظاهر الفرح والبهجة التي خلفتها ورائي هناك، والسعادة التي عمَّت أرجاء المدينة، وهناء شعبها بمعيشةٍ أفضل بعد زوال الخطر المحدق وخضوع مملكتها لإمرةِ حاكمٍ صالحٍ كالملك رودولف الخامس.

وقد تجلَّت مظاهر تطور البلاد في تزيين المناطق _حيث توجد منازل الفقراء_ وإحياء شوارعها القديمة الضيِّقة والتي كانت على الأرجح إحدى مخططات سابت الناجحة كالعادة، والتي تصب في مصلحة الملك؛ لزيادة شعبيَّته.

وبالفعل.. جرَت الأمور على ما يُرام حتى حلول ذلك اليوم بعد ستة أشهر منذ مغادرتي البلاد...

عندما خرج سابت مسرعًا من قصر الملك رودولف قرابة الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وأمر جنوده بمُباشرة عملهم في حزمٍ وثبات، والترقُّب لحماية القصر والانتباه جيدًا لأيِّ أمر غير اعتيادي قد يحدث، وأمرهم بتأمين كافة مداخل القصر ومخارجه، والتعامل مع أيّ طارئٍ بشكلٍ مباشر.

وما لبث أن فرغ من تعليماته وأوشك أن يعود إلى الداخل مرَّة أخرى حتى اِندلع حريق مروع في العديد من أرجاء المدينة ويَقرُب إلى حدٍّ ما من القصر.

خرج السكان مُهرولين من بيوتهم وعلَت أصواتهم بالعَويل والصراخ، فأسرع إليهم الجنود؛ لنجدتهم ومحاولة السيطرة على الحريق الذي بدا وكأن أحدًا ما أو ربما بضعة أشخاص قد افتعلوه عن عمدٍ مستخدمين مواد قابلة للاشتعال.

فما كان من سابت إلَّا أن سكن قليلًا يفكِّر، وما هي إلَّا ثوانٍ معدودة حتى جحظت عيناه إلى الخارج وأمر جنوده بالعودة إلى مو اقعهم على الفور.

(ولكن الوقت قد تأخَّر كثيرًا على هذا..!)

صوت صراخ يصدر من إحدى شرفات القصر، فبدا وكأن أحد الخدم هناك يستغيث من أشخاصٍ يقتحمون المكان، ويحاولون اختطاف الملك؛ فأشهر سابت سيفه فى ضراوةٍ وغضب، ثمَّ أسرع به إلى الداخل.

بطريقةٍ ما أو بأخرى.. ذيع خبر اختطاف الملك، و انتشر عبر أرجاء المدينة حتى وصل إلى قصر الأميرة فلافيا التي أسرعت بالقدوم إلى قصر الملك، وقد استقلت السيارة بمفردها دون انتظار السائق، و اتجهت مباشرة صوب القصر بالرغم من الحريق المُندلع هنا وهناك.

فتعرَّضت حياتها للخطر وسط زحامٍ من الناس يعمُّ أرجاء البلاد، إلَّا أنها لم تُلقِ بالًا لكلِّ هذا ومضت في طريقها إلى أن بلغت مقصدها، فكان هذا ما وجدته آنذاك عندما وصلت إلى الردهة الأمامية في قصر الملك رودولف...

الكثير من الدماء التي أُرِيقَت على طول مدخل القصر، وعشرات الجنود المُلقاة أجسادهم على الأرض صريعة أو مصابة. فبدأت أنفاسها تتلاحق ونبضات قلبها تتسارع وجفونها ترتَعِد من شدة الفزع وهي تسير عبر تلك الطريق الدامية، حتى كادت تفقد وعيها، لولا أنها تدارَكَت أولى درجات سلم القصر؛ فاستجمعت قواها أو _بالأحرى_ ما تبقى منها، وسارت بخطوات هائمة وأنفاس متقطِّعة إلى الداخل، ثمَّ صعدت نحو غرفة الملك حتى وصلت إلى هناك؛ فوجدت سابت يقف حاملًا بيدِه سيفه المشبَّع بدماءٍ تتساقط منها القطرات الواحدة تلوَ الأخرى، ويقف بجواره فريتز الذي لحظ وجود الأميرة بالخلف تتكئ إلى باب الغرفة فأسرع إليها بسؤالِه:

_ ما الذي تفعلينَه هنا أيَّتها الأميرة؟! عليكِ العودة إلى قصركِ على الفور؛ فقد تُعرِّضين حياتك للخطر.

فقاطعته بسؤالها عن الملك روردلف:

_ أين الملك؟ هل اختطف حقًا؟!

تدخَّل سابت:

_ اهدئي قليلًا أيَّتها الأميرة، وكما أخبركِ فريتز.. يجب أن تعودي إلى قصركِ الآن بأسرع ما يمكن؛ فوجودكِ هنا يُشكِّل خطرًا كبيرًا على حياتكِ.

فصرخت قائلة:

_ لن أذهب إلى أيّ مكان قبل أن أعلم ما الذي حدث للملك !

وفي تلك اللحظة فُتِح باب قبوٍ سرِّيٍّ بداخل الغرفة يقودُ إلى مَمَرٍّ بالأسفل _سبق وأن استخدمته مع سابت للفرار من القصر إلى زندا_ وخرج منه الملك رودولف قائلًا:

_ لا عليك يا ابنة العم، فأنا هنا ، و أنا بخير.

عندئذ سقطت الأميرة على الأرض فاقدة للوعي.

أمر الملك بإحضار كوبٍ من المياه الباردة وأسقط منه بضع قطرات على وجهها حتى استفاقت وتساءلت:

_ إن كنت هنا حقًا، فلما ادَّعى الخادم بأنه قد تمَّ اختطافك..؟!

أجابها سابت قائلًا:

_ لم يكن يدَّعي هذا؛ بل كان محقًا فيما يقول.

أردفَت قائلةً:

_ ماذا؟ وكيف يمكن أن يحدث؛ إن كان الملك لا يزال بغرفته؟!

فنظر جميعهم إلى بعضهم البعض ثمَّ انتقلوا بناظريهم إلى الأميرة التي استنتجت شيئًا من تلك النظرات؛ فاتَّسعت عيناها، وبدت على وجهها علامات الحيرة والدهشة، وقالت مستنكرة:

_ لن يخبرني أحدكم أنَّ ما أفكِّر فيه صحيح، أليس كذلك..؟!

أجاب فريتز:

_ بلى صحيح أيتها الأميرة، لقد عاد رودولف راسندل، وهو من اختُطِفَ بدلًا من الملك.

والآن دعونا ننتقل بالأحداث لما قبل ذلك ببضعة أيام...

ذات ليلة عندما خلدتُ إلى النوم؛ راودتني تلك الأحلام مجددًا؛ التي اعتدت على رؤيتها في الآونة الأخيرة، حيث أستعيد بها ذكريات الأحداث التي جرت خلال زيارتى لروريتانيا؛ تارة تلك المعارك التي نشبت بينى وبين رجال الدوك مايكل، وتارة مخططات سابت لإنقاذ الملك رودولف، وتارة أخرى الأميرة فلافيا التي لم أكن أعتقد أنني سأفتقدها على هذا النحو..!

حقًا وددت لو أستطيع رؤيتها مجددًا، ولكن في غير تلك الظروف التي التقيتها بها فى المرّة السابقة، أو_بالأحرى_ تلك التي بانتظاري مجددًا، ولم تكن بالحسبان..!

مشهد آخر قد حُفر في مُخيّلتى، ولم يفارق أحلامي قط منذ أن بدأت تراودني. وهو ذاك الحارس الأخير للدوك مايكل؛ الذي بالكاد تمكَّن من الفرار قبل القضاء عليه بدقائقٍ معدودةٍ خلال تلك الملحمة؛ بالطبع إنَّه روبرت !

عندئذ استيقظت فزعًا من نومي على صوت تلك الرصاصة التي تلقَّيتها فى إصبعي خلال مناوشاتي مع رجال الدوك؛ فنظرت إلى إبهامي، ثمَّ تبسمت وقلت في نفسى:

_ لا أصدق أن مثل هذه الأيام كانت الأفضل لديَّ بين جميع ما مررت به في مُجمَل حياتي، أتمنى لو أعود إليها يومًا ما.

ولكن الحياة أقصر من أن تمنحك الفرصة للبدء من جديد؛ إنما المحظوظون فقط من تواتيهم هذه الفرصة. أودُّ حقًا لو أنني أحدهم؛ لكي أعود وأكمل ما بدأته، وأحصل على ما آمل أنَّه لي..!

أرى أنني قد عدت الآن إلى موطني؛ ولكنني أشعر وكأنني خلفت ورائي هناك ما أودُّ استعادته أو_بالأحرى_ ما أودُّ نَيل الفرصة لكي أستعيده.

قطع حدسي صوت طرق على باب غرفتي؛ فتبسمت وقلت في نفسي:

_ حان الآن موعد تناول كوب الحليب.

ومن ثمَّ فتح الباب، واستأذن الخادم (لارى) بالدخول قائلًا:

_ معذرةً يا سيد رودولف، أمرتنى السيدة روز بإحضار كوب الحليب هذا إليك، وتخبرك بألَّا تنسى تناوله قبل النوم مجددا..!

فضحكت وقلت له:

_ حسنًا، أبلِغها تحياتي، وأخبرها بأنني لن أفعل.

أردفَ لاري:

_ عمتَ مساءً يا سيدي.

_ يا لزوجة أخي العنيدة..! لازالت تعاملني كطفلٍ صغيرٍ_كما قالت بأنها ستفعل_ منذ أن أخلفت وعدي إليها بأنني سأعمل في السفارة لدى السيد (جاكوب بروديل) عندما أعود من رحلتي في جبال الألب ولكنني لم أفعل.

فقد قالت بأنها ستعاملني كطفل صغير لا يلتزم بوعوده التي يقطعها، وليس جديرًا بتحمُّل المسؤولية. ليتني أستطيع إخبارها بأنني لم أكُ مخيَّرًا بشأن قبول تلك الوظيفة أم لا، لكن على الأقل لازال بإمكاني تلبية رغبتها في تناول هذا الكوب كلّ يوم.

قلتها، ومن ثمَّ ضحكت وتناولت كوب الحليب، ثَم خلدت إلى النوم مجدَّدًا.

استيقظت لاحقًا في تلك الليلة وذهبت لإحضار كوب من المياه الباردة؛ فمررت في طريقي بغرفة أخي "اللورد بيرلسدون" وزوجة أخي روز، وقد لفت انتباهي صوت يصدر من غرفتهما !

فتعجَّبت أنهما لازالا متيقظين حتى هذا الوقت المتأخر من الليل؛ إذ كانت الساعة قرابة الثانية عشر والنصف بعد منتصف الليل، وليس من عادتهما الإستيقاظ حتى هذا الوقت..!

هممت بالذهاب لولا أن جذب انتباهى حديث روز إلى روبرت؛ وهي تقول له:

_ لقد جنّ جنوني من تصرفات أخيك دون المسؤولية يا روبرت!

فتبسَّمت ضاحكًا، وقد حرصت ألَّا أصدر صوتًا كي لا أجعلهم يشعرون بوجودي؛ إذ أثارني حديث زوجة أخي، وازدت رغبة فى التنصُّت على بقيته؛ الذى تابعته قائلة:

_ لقد خدعنا بادعائه أنَّه سيذهب للسير في جبال الألب، و أنه ينوي تأليف كتاب عن مشكلات المجتمع الريفي؛ ولكنه لم يفعل، لاسيما رفضه العمل لدى السيد جاكوب بروديل؛ كما وعدنا بأنه سيفعل فور عودته من الرحلة.

لا أعلم إلى متى سيظل هكذا دون عمل أو جدوى؟! لقد خاب أملي به مرارًا وتكرارًا، ولم يعد لديَّ رجا منه في عمل أيّ شيءٍ نافعٍ فى حياته الهائمة تلك التي يعيشها دون هدف أو مسؤولية.

عندئذ ضحكت، وقلت في نفسى:

_ ليتكِ تعلمين يا روز ما مررت به خلال تلك الرحلة؛ لا شك أنَّ فكرة الفتى عديم المسؤولية تلك التي تحملينها عني كانت لتزول إلى الأبد..!

اكتفيت من التنصُّت عند ذلك الحدّ وأوشكت أن أذهب؛ لولا أن سمعت ما لم أكن لأتوقعه على الإطلاق؛ فقد كانت نهاية حديث زوجة أخي إليه كالتالي:

_ أظن أنَّه حان الوقت لرودولف أن يتزوَّج يا روبرت!؛ فتلك هي الطريقة المُثلى لإجباره على تحمُّل المسؤولية. فلا شيء أكثر من هذا سيدفعه لفعل ما يتوجَّب عليه أن يفعل؛ رغمًا عنه.

حقًا..! لقد فاجأتني روز بحديثها هذه المرَّة، ما كنت لأظن قط بأن حلًّا مثل هذا سيكون آخر ما تصل إليه بعد فقدان أملها بي، لقد أثارني اقتراحها بالفعل.!!

حينئذٍ خالجتني مشاعر غريبة مزَّقتني بين القبول والرفض، ولم أدرِ ما كنت لأقوله لزوجة أخي لو أنها قد عرضت عليَّ مثل هذا الاقتراح؛ فلم تتسنَّ لي الفرصة للتفكير به من قبل؛ مما أثار التساؤل لديَّ عن سبب ذلك، فبدأت أُحدِّث نفسي قائلًا:

_ ماذا يا رودولف..! أحقًا أنت متردِّد لأنك لم تفكِّر بشأن هذا من قبل؟ أم أن الأمر يتعلق بشخصٍ ما في روريتانيا؛ هو ما يجعلك حائرًا لا تدري أتقبل أم لا؟!

توقَّفت لثوانٍ معدودة عن محادثة نفسي، ومن ثمَّ قلت:

_ يا لزوجة أخي..! فقط كلمة واحدة منها تبدأ عندها مغامرة بأكملها.

عُدت أدراجي إلى الغرفة، وقد نسيت ما خرجت منها لكي أفعل !

وعندما ذهبت إلى الداخل توجَّهت مباشرة صوب النافذة؛ حيث توقَّفت لبعضِ الوقت، تلفح وجهي نسمات الهواء الخفيفة العذبة.

في تلك اللحظات.. خالجتنى العديد من الأمور، وشغلني تفكير طويل تضاربت به الأحداث في رأسي. فبدأت أفصل ما بين و اقعى وخيالى، أجزم حقيقة ما أنا عليه حقا وما أتوق لأن أصير عليه مرَّة أخرى؛ دون دراية بما قد يدفعني لفعل ذلك، أو ما يجعلني أظن بأنني سأفعله مجددًا..؟!

عندها أخذت أتحدَّث إلى نفسي، و أتساءل عما تغيَّربي منذ أن عدت من روريتانيا ! فقبل ذهابي إلى هناك، أذكر بأنني كنت ذلك الشخص الذي طالما اتبع أهوائه في شتى ما يقوم به؛ دون مبالاة بما عليه حقًا أن يفعل، أو ما ينصحه به الآخرون.

فكنت أحيا حياة هادئة؛ بلا مشكلات وبلا مسؤوليات. حتى اصطدمت بذلك الفيصل الكبير ما بين حياة رودولف الهائم، وحياته الأخرى كرودولف الملك.

قبل ذهابي إلى روريتانيا كنت قد و افقت على العمل لدى السيد جاكوب بروديل في السفارة، ولكن الأمر قد تغيَّر الآن. فلم يعد باستطاعتي أن أفعل، و أيضًا لا أدري ما الذي أودُّ أن أفعل، حتى أنَّه لم يعد بمقدوري أن أعود إلى رودولف القديم مجدَّدًا..!

يا إلهي! لم أظن يومًا أنني سأقول مثل هذا الأمر؛ ولكن يبدو أن روز مُحقة هذه المرَّة..!

_ أرجو ألَّا تكون كذلك، وأن ما أشعر به ليس ببعيد.

قلت لنفسي؛ و أنا أرمي لشيءٍ واحدٍ فقط.

فلا زلت أشعر حتى هذه اللحظة أن حياتي الحقيقية تمثَّلت في الفترة التي قضيتها في روريتانيا، وبرغم كلّ ما مررت به، وكوني أشرفت على فقدان حياتي عدَّة مرَّات؛ إلَّا أنني وأخيرًا شعرت بأن حياتي قد صارت ذات معنى وقيمة.

يا إلهي..! لم أرَقط أهمية لحياتي كل هذا القدر؛ إلَّا عندما صرت على شفا جرفٍ هارٍمن الموت.

كانت تلك الدقائق هي أقسى ما تعرضت له منذ أمد بعيد، فلم أدرِ ماذا عليَّ أن أفعل؟ وكذا لم أستطع فعل ما أردت أن أفعل؛ على عكس ما اعتدت عليه طوال ما مضى من عمري.

انتهى بي المطاف آنذاك و أنا أقول لنفسي:

_ أظن عليا أن آخذ بنصيحة زوجة أخي هذه المرة؛ فقد يكون اقتراحها نقطة تحوُّل جيدة لى لكي أبدأ عندها مسيرتي في دربٍ جديدٍ يقودني لحياةٍ أفضل.

في صباح اليوم التالي، وبينما كنت أتناول طعام الإفطار في غرفة الطعام؛ إذ بمقبض الباب يدور فيفتح وتدخل منه زوجة أخي تحمل في يدها كوبًا من عصير البرتقال _وهو المفضَّل لديّ_ فأعطته لي وهى تقول:

_ هنيئًا لك يا رودولف! أعلم أنك تحب هذا المشروب كثيرًا؛ ولذا فقد أعددته بنفسي خصيصًا من أجلك.

تبسمت قائلًا:

_ أشكركِ كثيرًا على هذا، إنَّه لطف منكِ أن تفعلي.

ثمَّ أخذته، فبدأت في تناوله و أنا أنظر إليها وهي تر اقبني في صمت؛ ترسم على وجهها تلك الابتسامة التي أعلمها جيدًا.

فَفي النهاية أنا أعرف جيدًا ماذا يجول بخاطرها، وما الذي ترمي إليه وراء كل هذا ! إلَّا إنَّه ليس من المفترض بي أن أجعلها تنتبه لذلك.

فما كان مني إلَّا أن ادَّعيت الحماقة، وقلت لها:

_ أشكركِ كثيرًا يا زوجة أخي.. هذا لطف منكِ، ولكن معذرةً.. فأنا لم أعتد منك على هذا. تُرى ما الأمر؟ هل هناك شيئًا ما تودى أن تخبرينى به؟

فانفعلت قليلًا، وبدت عليها علامات التوتُّروالخجل، ومن ثمَّ قالت لي:

_ لا بأس إن لم يعجبك هذا فلن أكرّره مجدّدًا.

فأسرعت إليها بقولي:

_ لا، لا لم أقصد ذلك؛ كنت أمازحكِ فحسب، أشكركِ كثيرًا على هذا يا أختي العزيزة.

ومن ثمَّ أخذت يدها فقبَّلتها، وطلبت منها أن تشاركني طعام الإفطار. فلبَّت لي مطلبي، وجلسنا معًا لتناول الطعام. وخلال ذلك، لاحظت كيف أنني قد وضعتها في مأزق؛ إذ لم يعد بإمكانها الآن إخباري بما أتَت لكي تفعل.

لم أحب ذلك حقًا. فشعرت بأنَّ عليَّ أن أساعدها في الإفصاح عمَّا تريد ! وبالفعل بدأت أفكِّر في طريقة ما يمكنني أن أبدأ بها الحديث عن هذا الموضوع، وما لبثت أن وجدت الطريقة المناسبة؛ فقلت لنفسي:

_ لا بأس، أظنها فكرة جيّدة!

بدأت أتصنَّع علامات الحيرة والاستياء على وجهي حتى لاحظت روز ذلك، ومن ثمَّ أفلتُّ الملعقة من يدي، وبدأت حديثي إليها قائلًا:

_ أودُّ سماع نصيحتكِ يا روز؛ فقد سئمت كثيرًا من روتيني اليومي، ولا أدري ماذا بوسعي أن أفعل لكي أبدِّله بحياةٍ أفضل؛ هل يمكنكِ مساعدتي في هذا؟

عندئذ بدأت علامات السرور والفرح تعتلى وجهها بحذرٍ كبير كي لا ألحظ ذلك؛ إلَّا أنني فعلت، ولكنها قالت لي:

_ حسنًا، دعني أفكِّر قليلًا في الأمر.

فتبسَّمت وعلمت أن الأمر لن يستغرق الكثير من الوقت حتى تجد زوجة أخي العزيزة الحلّ من أجلي، وبالفعل كان هذا ما حدث؛ إذ ضربت روز بكفَّيها على المنضدة وهي تقول:

_ لقد وجدت الحل، ما رأيك بأن تتزوَّج..؟

فجاريتها في هذا قائلًا:

_ يا لها من فكرة مثيرة..! لقد أحببتها كثيرًا، ولكن أخبريني.. هل لديكِ فتاة مناسبة من أجلي..؟!

أجابَت على الفور:

_ نعم بالطبع. أثناء فترة دراستي بالخارج في جامعة كامبريدج كان لديَّ صديقة في غاية الجمال _من نوعكَ الذي تفضِّل_ ، وإن لم تمانع؛ فسأطلب منها أن تأتي لزيارتنا في القريب العاجل، ما رأيك في هذا..؟

أردَفت قائلًا:

_ حسنًا، دعيني أفكِّر قليلًا في الأمر.

بدأتُ أدَّعي التفكير رغم أنني قد اتخذت قراري سلفًا، ولكنني ظلت أراقبها في صمتٍ حتى شعرت بالتوتُّر لديها يزداد شيئًا فشيئًا. عندئذ قرَّرت منحها الإجابة التي ترغب في سماعها؛ بأن قلت لها:

_ لا بأس، أظن أنها فكرة جيِّدة، يمكنكِ السماح لها بذلك متى تشائين.

تساءلت روزوتغمرها لهفة كبيرة في الحصول على الإجابة المرجوَّة:

_ أأنتَ جاد فيما تقول..؟!

فمنحتها إيَّاها قائلًا:

_ بالطبع أنا كذلك! ولكن عليك إخباري بموعد قدومها؛ لكي أبتاع لها هدية جيِّدة. ألَّا تظنِّين ذلك..؟!

_ يا له من لطفٍ كبيرٍ منكَ يا رودولف، أشكركَ كثيرًا على هذا.

قالتها روز بامتنان كبير وقد أوشكت على الذهاب، إلَّا أنني سُرعان ما قاطعتها قائلًا:

_ ولكن مهلًا لحظة..! أظن أنني من طلب النصيحة أولًا، وبالتالي من منا عليه أن يظهر امتنانه للآخر! ..بالطبع إنَّه أنا، أليس كذلك..؟!

فأجابتنى بتوتر:

_ نعم.. نعم، بالطبع أعلم هذا، ولكن لا بأس فعلى أيَّة حالٍ لقد اتفق كلانا على الأمر عينه في النهاية، فلا ضرورة لأن نلقي بالًا لمن عليه أن يشكر الآخر!

فتبسَّمت وقلت لها:

_ نعم أنتِ مُحقَّة، وعلى أيَّة حالٍ أُقدِّر مساعدتكِ لي، وأشكركِ كثيرًا على هذا. فقد ظننت أنني قد ضللت الطريق مجدَّدًا، ولكنكِ أرشدتني إليه مرَّة أخرى.

سُرعان ما أردفَت قائلة:

_"لا عليك! كن واثقًا بأنك إذا عييت حقًا ما الذى تريد؛ فعندها لن تضل طريقك أبدًا".

فأجبتها قائلًا:

_ أنتِ مُحقَّة بالطبع، ولطالما كنتِ كذلك يا زوجة أخي.

قالت وقد همَّت بالرحيل:

_ حسنًا. سأذهب الآن لكي أكتب خطابا لصديقتى التي حدَّثتك بشأنها، وسأطلب منها أن ترسل إليَّ صورتها في القريب العاجل لكى أطلعك عليها وتخبرني ما رأيك.

ابتسمت وقلت لها:

_ حقا !! يا لها من فكرة رائعة..!

لم يمضِ الكثير من الوقت على ذلك، وما هي إلَّا خمسة أيام لحظت خلالهم كيف أنَّ معاملة زوجة أخي لي قد استحالت مائة وثمانون درجة؛ فقد زاد اهتمامها بي كثيرًا وأخذت تتحدَّث إليَّ باستمرارٍ عن الوقت الذي التقت فيه بأخي روبرت، وكيف أنها قد أحبَّته كثيرًا وهو كذلك، حتى انتهى بهما المطاف في هذا القصر الكبير؛ حيث يعيشون حياة سعيدة هادئة، مليئة بالحب والاستقرار.

فصارت تبذل كل ما بوسعها من أجل إرضائي وتحميسي على فكرة الزواج، وتتأكد من صدق ما أخبرتها به بين الحين والآخر، حتى أنني أذكر بأنَّ أخي روبرت تعجَّب كثيرًا من تلك الطريقة التي تعاملني بها روز، إلى أن قال لي ذات مرَّة:

_ أحسنت يا رودولف! أرى أنكَ قد نجحت أخيرا في ضمِّ روز إلى صفّك، ونتيجة لذلك فلم أعد أعاني الأرق مثلما كنت أفعل من قبل. حقًّا أنا لا أدري ما الذي فعلته من أجلها!؛ ولكن يمكنني القول بأنَّه كان أفضل ما قمت به على الإطلاق، أشكركَ كثيرًا يا أخي.

_ إذًا، فقد كنت محقا يا راسندل وكانت خطَّتك ناجحة بالفعل.

قلتها لنفسي بعد أن لاحظت أنَّ الأمور باتَت تجري على ما يُرام، وعقَّبتُ:

_ مرحى!! لا مزيد من الحليب بعد الآن.

هكذا جرت الأمور حتى وصل ذلك الخطاب إلى قصر بيرلسدون، ومن ثمَّ انقلب بيَ الحال رأسًا على عقب؛ فقد ظننت وأخيرًا أنني قد عثرت على دربي الجديد، إلَّا أنَّه وكعادة القدر منذ آلاف السنين؛ ألَّا يدع مخططًا دون إضفاء لمساته السحرية عليه فيغيِّر بها مجرى الأمور كليًّا إلى ما يفوق ظنوننا جميعا، ويحطم بها جميع التوقعات.

عندما وصل هذا الخطاب إلى القصر أسرعت زوجة أخى لاستلامِه؛ فقد ظنَّت أنَّه مرسلٌ إليها من صديقتها بالخارج، ولكنها لم تكن تعلم بأنه يحمل لي رسالة ستجعلنى أُخيِّب ظنها بي للمرَّةِ الثانية.

لقد كان الخطاب يحمل اسمي عليه، فطلبت من أحد الخدم بالقصر أن يذهب ويضعه بغرفتي لحين عودتى من الخارج، إلَّا أنني عُدت متأخرًا في تلك الليلة وقد غطَّ جميع من بالقصر في نومٍ عميقٍ كعادتهم، وكنت مرهقًا للغاية فذهبت على الفور إلى غرفتي كي أبدل ثيابي، ومن ثمَّ توقفت قليلًا أمام نافذتى أطلع من خلالها على حديقة القصر؛ كما اعتدت أن أفعل في كثيرٍ من الأحيان، إلَّا أنني لم أطل النظر كثيرًا قبل أن أذهب مباشرة إلى الفراش، وأستلقي منهكًا على السرير من شدَّة التعب.

مددت يدى إلى الجوار لكي أطفئ المصباح؛ فأوقعتها مصادفة على شيءٍ ذو ملمس ناعم قد وضع على المنضدة بجانب المصباح، فنظرت إليه وتساءلت:

_ تُرى ما هذا الخطاب؟! ومن الذي أحضره إلى هنا؟!

ثمَّ قلت في نفسي:

_ لا يهُم، أنا متعب كثيرًا الآن، سأتفقده في الصباح عندما أستيقظ.

ثم التفتت إلى الجهة الأخرى وحاولت الخلود إلى النوم، ولكن الفضول أثارني لتفحُّص الخطاب ومعرفة محتواه؛ فقد تكون زوجة أخي أحضرت لي صورة زوجتي المستقبلية.

عندها قرَّرت أن أفتح الخطاب وأرى ما يوجد بداخله !

في تلك اللحظة تعثرت بالماضي الذي خلفته ورائي منذ ستة أشهر، بعدما قرأت ما كتب على الخطاب من الخارج فوجدته.." إلى صديقي المخلص السيد رودولف راسندل ". عندئذ انتفضت من فوق سريرى، وقلت في نفسى:

_ يا إلهي..! أنا أعرف هذا الخطّ جيدًا.

لقد كان سابت هو مُرسِل ذلك الخطاب، وقد بدأ كتابته كالآتي:

_ " من رودولف الملك إلى رودولف راسندل، صديقكَ بحاجةٍ إليك، وسيكون بانتظاركَ في القريب العاجل، وهو يعلم أنكَ لن تتردَّد في القدوم لمساعدته بأسرع ما يمكنك، سأكون بانتظاركَ حيثما التقينا فى المرَّة الأولى، إلى اللقاء أيها الملك ".

" التوقيع/ صديقك سابت ".

عندها قفزت من تختي، وشعرت بفرحةٍ كبيرةٍ تغمرني عقبتها قائلًا:

_ لقد تأخرت كثيرًا يا سابت؛ فأنا أنتظر حدوث مثل هذا الأمر منذ اللحظة الأولى التي بدأت بها تراودني تلك الأحلام، وعلمت بأن ذلك اليوم آتٍ عاجلًا أم آجلًا.

ورغم أن الخطر قد عاد يُحدق بي من جديد؛ إلَّا أنني لم أتوانى في اتخاذ القرار الذي سبق وأن اتخذته بالفعل منذ وقت بعيد، وعلى الفور بدأت أحزم أمتعتي؛ استعدادًا للرحيل.

إلى أن قاطعني حدسي فجأةً:

_ مهلًا لحظة..! ولكن ماذا بشأن الوعد الذي قطعته على نفسكَ أمام زوجة أخيك؟!

آه يا إلهى! ما الذي فعلته؟ ..لقد أوقعت بنفسي في مأزقٍ كبير، فقد قلت لروز بأنني سأفعل مثلما تريد، ولا أستطيع أن أخذلها مجددا؛ فقد اكتفيت من هذا. لا أودُّ أن أكسر ثقتها بي مرَّة أخرى، إلَّا أنني لابد وأن أذهب لمن هم بحاجة لمساعدتي.

الآن سيتوجب علي أن أفكِّر في خطة جيِّدة؛ لكي أتمكَّن من الذهاب إلى روريتانيا دون إثارة الجدل مع زوجة أخي.

استغرق الأمر بضع دقائق كي أفكِّر فيما يجب أن أفعل _رغم ضيق الوقت_ وسرعان ما قرَّرت أن أترك رسالة لزوجة أخي أخبرها بأنني ذهبت في رحلة إلى (أورسلندا) _وهي بلدة تشتهر بمعارض التحف الثمينة، والهدايا التذكارية القيِّمة_ لكي أشتري لصديقتها هديَّة مناسبة أقدِّمها إليها عند وصولها إلى القصر، كما أخبرتها بأنني سألتقي بصديق قديم هناك أقضي لديه بضعة أيام وسيساعدني في شراء هديَّة مُمَيَّزة من أجل زوجتي المستقبليَّة، وأخبرتها كذلك بأنني سأعود في القريب العاجل قبل وصول صديقتها إلى قصر بيرلسدون، فقد رأيت أنها ستكون فكرة مناسبة، وكذا فهو الوقت الأنسب للمغادرة؛ قبل أن يستيقظ أحدهم و أبدأ معه جدال آخر، وعلى الفورقمت بإعداد كافة الترتيبات اللازمة للسفر.

الآن وقد انتهيت من حزم أمتعتي؛ قمت بكتابة الخطاب إلى زوجة أخي، ولا أستطيع أن أنكر ذلك..! ففي اللحظة التي تركت بها تلك الرسالة تمنَّيت ألَّا يكون رودولف القديم قد عاد مجدَّدًا؛ فقد كتبت رسالتي و أنا أعلم جيدًا بأنني لن أفى بما بها، ولكنني لم أجد غير ذلك لأقوم به.

سرعان ما أعرضت عن هذا وذهبت على الفور، فتركت رسالتي مع أحد الخدم؛ ليوصلها إلى زوجة أخي حينما تستيقظ، ومن ثمَّ انطلقت متجهًا إلى فرنسا في تمام

الساعة السادسة صباحًا، وها أنا ذا في طريقي للعودة إلى حيث أنتمي في الدولة التي صرت ملكًا عليها للمرَّة الثانية.

الفصل الثاني

"في طريقِ العودَة"

وصلت إلى فرنسا فى هذا المساء في تمام الساعة السادسة؛ إلَّا أنَّه لم يكن لديَّ الكثير من الوقت لأضيِّعه في قضاء أُمسية في باريس؛ لذا توجَّهت مباشرةً إلى محطة القطار. لم ألحظ أنني كنت مسرعًا إلى هذا الحدّ، إلَّا أن إحدى الموظفات في مكتب حجز التذاكر قد فعلت، ومن ثمَّ أعطتني منديلًا ورقيًّا. فانتبهت كم كنت أتصبَّب عرقًا دون أن أشعر، فأخذت المنديل وشكرتها على ذلك. فقالت لي:

_ على الرحب والسعة، رحلة موفقة يا سيد راسندل!

فأجبتها:

_ أرجو أن تكون كذلك!

ثمَّ ذهبت و أنا أقول في نفسي:

_ أحتاج للتحدُّث إلى شخصٍ ما؛ وإلا فسيزداد الأمر سوءًا مع هذا التوتُّر.

وفي طريقى نحو القطار سمعت صوت أحد ما يصرخ طلبًا للمساعدة، ويقول:

_ ساعدوني..! ساعدوني..! لقد سرق هذا الرجل محفظتي.

أسرعت للإمساك باللص، وقد ساعدني في هذا أنَّه كان يركض باتِّجاهي نوعًا ما؛ ففاجأته بلكمة قويَّة سدَّدتها مباشرة إلى أنفِه فسقط مغشيًا عليه. عندئذ التقطت

المحفظة من يده ثمَّ توجهت نحو مالكها الذي أتى إلي مسرعًا وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة بالغة من شدَّة التعب؛ يبدو أنَّه كان يُطارد اللص لمسافة طويلة !

فأسرع باتجاهى، وقبل أن أقدم إليه محفظته؛ التقطها من يدي قائلًا:

_ أشكركَ كثيرًا على المساعدة يا سيد...؟!

فأجبته:

_ رودولف راسندل.

فقال لي:

_ أنا أدعى ويليام.

ثمَّ نظرت من خلفهِ فوجدت سيدة شابة جميلة في الثلاثينات من عمرها ترتدي ثيابًا أنيقة وتتجه نحونا إلَّا أنها تبدو غاضبة للغاية، وعندما وصلت إلى حيث كنا نقف، التفتَ إليها السيد ويليام ثمَّ أعاد النظر إلي، وقال لى:

_ أقدم إليك، ابنة شقيقتى..! الآنسة ديفيلن.

ولم يكد يفرغ من حديثه؛ حتى قاطعته تلك الآنسة، وبدأت تعنِّفه بشدَّة:

_ لما كل هذا العناء يا سيد ويليام..! أما كان من الأفضل لو تركت اتباع ذلك اللص كلّ تلك المسافة ومضينا قدمًا في طريقنا، أم أن محفظتك تحوي ثروة طائلة لا يمكنك التخلِّي عنها..؟!

تعجَّبت من ردَّة فعلها، إلَّا أنني بدأت أتفق معها فى الرأى؛ عندما لفت انتباهي مظهر السيد ويليام الذى كان يرتدي ثيابًا في غاية الثراء؛ فظننت حقًا أنَّه لم يكن

بحاجة كلّ هذا العناء بركضهِ خلف ذلك اللص، ولكن ما أثار دهشتي هو أنني أدركت فيما بعد أن محفظته تحتوي فقط على مائتى كرونة..!

وقد أوضح رؤيته للأمر لابنة شقيقته بأن قال لها:

_ عزيزتي ديفيلن! إذا لم نتكبَّد عناء الحفاظ على القليل؛ لاعتدنا على فقدان الكثير. فطالما كان المال بحاجة لمن يعي قيمته، ويدرك جيدًا مدى أهميته وما يعنيه في حياة جميعنا. فهو كل ما نملك، ولا يوجد ما هو أثمن من المال للتشبّث به والدفاع عنه.

استمعت لحديثه بأذان صاغية وعقل واعٍ؛ فأدركت على الفور حقيقة السيد ويليام..! رجل يكترث لأجل المال أكثر من أيّ شيء، وإن كنت محقًا فيما ظننت فلا شك أن بإمكانه فعل الكثير جراء حصوله على المال، وكذا فقد أوضح أنَّه لا يحب أحد ما أن يتغلب عليه بتلك السهولة، أو ينجح في الاستيلاء على شيءٍ ما من أمواله، وإن حاول أحدهم أن يفعل؛ فسيمنعه بكل السبل مهما كلَّفه الأمر من عناءٍ ومشقَّة.

ثمَّ علَّق على هذا قائلًا:

_ "بالنسبة لي، فالاستسلام لهو أمر مُخزٍ لا يمكنني احتماله أو تقبُّله".

،"أو أنَّه خطة جيِّدة من عدوٍ ذكي..!" ..(قاطعته برأيي الذي شعرت برغبة كبيرة في إبدائه آنذاك).

عندئذ التفتَت إلي الآنسة ديفلين، وتساءلت عمن أكون ؟!

تحدَّثت إلى نفسي بصوتٍ منخفض، وقلت:

_ يبدو أن نوبة الغضب قد صمَّت أذنيها أو ما شابه..!

أعاد ويليام تقديمي إليها مرَّة أخرى، فقالت لي:

_ معذرة يا سيد راسندل! سررت كثيرًا بالتعرُّف عليك، وأشكركَ على مساعدتك.

أردَفت قائلًا:

_ لا بأس، سررت أيضًا بالتعرُّف عليكِ يا آنسة ديفيلن.

ردَّ السيد ويليام قائلًا:

_ إذًا، ما رأيك أن تنضم إلينا في رحلتنا ؟

فتوقفت قليلًا، وقلت في نفسي:

_ فكرة جيدة؛ فقد يمنحني هذا القليل من الوقت دون التفكير بما ينتظرني لاحقًا.

ومن ثمَّ أخبرته بأنني سأودُّ ذلك بكلّ سرور.

عقبت ديفيلن:

_ فلننطلق إذًا، لقد تأخَّرنا كثيرًا.

أشرفَ القطار على الوصول، وقد استأذن السيد ويليام بالذهاب لإحضار بعض المياه. انتظرت مع ديفيلن لحين عودته، وعندها دار بيننا الحوار التالي؛ عقبَ أن وجدت ديلفين تحدِّث نفسها وتقول:

_ لا أصدق أنني ركضت كل تلك المسافة..!

فقلتُ لها:

_ معذرةً يا آنسة..! أراكِ تختلفين كثيرًا عن السيد ويليام؛ فكلاكما لديه أسلوبه الخاص.

أردفَت قائلةً:

_ بلى! فأنا أعيش معه منذ طفولتي، إلَّا أنني لم أتأقلم مع طباعِه بعد، وأختلف عنه في أمورٍ عدَّة. ولكن لا بأس، قد نختلف في كثير من الأحيان.. فهذا لا يتوقف على صلة قرابة؛ وإنما يعتمد على اتباع نَهج تفكير معيَّن أو منطقٍ ما.

عندئذ شردت بتفكيري قليلًا، وتمنيت لو أن روز تتفهَّم مثل هذا الأمر..!

عاد ويليام آنذاك، ومن ثمَّ وصل القطار وبدأنا جميعا رحلتنا معًا.

وما لبث أن شرع القطار بالتحرُّك حتى غطَّ ويليام في سُباتٍ عميق، وظللت مع ديفيلن متيقظين إلَّا أن كلانا كان لديه ما يشغله؛ فلم يتفوَّه أحدنا بكلمةٍ واحدةٍ طوال ثلاث ساعات مضت على تحرُّكِ القطار..!

بمرور الوقت شعرت قليلا بالإرهاق واتكأت إلى مقعدي، فلم أشعر بالوقت يداهمني حتى حلول صباح اليوم التالى؛ عندما دخل شعاع الضوء اللامع عبر الشرفة. فاستفقت وبدأت أفتح عيناي ببطء، ولحظت كيف كانت ديفيلن تنظر بعينيها إلى خارج القطار من الشرفة المجاورة لمقعدها، وترقَّب جمال التلال العاليَة.

_ تمنيت لو أنني أرى جمال تلك المناظر في ظروفٍ أخرى..! (قالت ديفيلن بصوتٍ منخفضٍ)، ولكن لم يصعب علي سماعه.

ترى ما الذى تعنيه بقولها هذا؟! أظنها تخفي شيئًا ما !

لم أُرِد أن تعلم بأنني كنت متيقظًا؛ فظللت في موضعي قليلًا دون التحرُّك إلى أن جاء الوقت المناسب عندما تأكدت بأنها ذهبت. وسرعان ما عادت مجدَّدًا وأحضرت إلينا بعض الطعام.

كنت قد استيقظت الآن من النوم كما ادَّعيت بأنني أفعل، وقامت هى بإيقاظ ويليام وبدأنا جميعا في تناول الطعام معًا.

بعد أن انتهينا، بدأ ويليام حديثه إلي بسؤاله:

_عذرًا يا سيد راسندل..! لقد نسيت أن أسألك إلى أين أنت ذاهب؟

فأجبته بأنني سأذهب للسير في جبال الألب؛ أظننى لم أتخلى بعد عن تلك الكذبة.

أردفَ قائلًا:

_ يا للروعة..! إنَّه لأمر جميل حقًا، أما أنا فسأذهب للقاءِ صديقٍ لي في مدينة (سترانتسم).

عندها رأيت كيف كانت ديفيلن تنظر إليه! ومن ثمَّ انتفضت من موضعها، وقالت بأنها ستذهب لتناول مشروب. استأذنى السيد ويليام، وتبعها إلى حيث ذهبت.

لاحظت كيف كان يتحدث إليها بنبرة مضطربة، وشيء من السرّية. عندها قرَّرت بأنه الوقت المناسب للرحيل، وقد وصل القطار إلى محطة (سينرال)؛ حيث يمكنني

الانتظار حتى الخامسة مساءً، ومن ثم أستقل القطار المُتَّجِه مباشرةً صوب العاصمة.

بالفعل قمت بحزم أمتعتي، وغادرت القطار دون أن يشعر بي أحدهم.

تأكدت بأن قطارهما قد رحل، ومن ثمَّ ذهبت على الفور إلى شباك التذاكر لأحجز تذكرة إلى محطتي النهائية؛ فانتظرت قليلًا إلى أن وصل القطار المنشود الذي يفصل بيني وبين وجهتي بمقدار ثلاث ساعات على الأكثر؛ فاستقليته وبت الآن في طريقي أخطو الخطوات القليلة المتبقية قبل وصولي إلى الوجهة المرجوة.

قضيت تلك الساعتين أفكِّر في غايتي الحقيقة من العودة إلى روريتانيا مجدَّدًا بعد كلّ تلك المدَّة، وقد توافر لدي أكثر من سبب لقيامي بذلك؛ فضلًا عن رغبتي الشديدة في العودة إليها، ورغم خوفي الشديد _الذي لم أظن بأنه سيتواجد في مكانٍ ما بداخلي على الإطلاق_ لم يمنع ذلك سعادتي. وأخيرًا أنا الآن أسير تلك الخطوات المتبقية في طريقي إلى المكان الذي أشعر وكأنني قد ولدت به من جديد.

يا إلهي! قلبي يخفق بشدَّة، كم أشعر بسعادة تغمرني، وخوف شديد يلاحقني، لا أرغب في الاستمرار بعد بالتفكير بشأن ما ينتظرني. فعلى أية حال، لم أعد بحاجة لذلك؛ وقد أوشكت بالفعل على معرفته!

وها أنا ذا على وشك مغادرة القطار قبل وصوله إلى المحطة النهائية، لأتابع السير قاصدا المكان الذي التقيت به سابت للمرَّةِ الأولى.

أمضيت ما يقارب الساعة والنصف وأنا أسير حاملًا تلك الحقائب الثقيلة بحوزتي؛ إذ لا يمكنني إرسالها عبر المحطة إلى حيث أذهب كما فعلت من قبل؛ فلم يعد هذا بالإمكان وأنا لا أعلم إلى أين ستكون وجهتي التالية بعد.

فاستمريت في السير حتى وأخيرًا وصلت إلى نفس ذاك المكان بجوار الشجرة عينها حيث كنت أستلقي في المرَّة الماضية _قبل أن يوقظني هذا الرجل العسكري الشديد (سابت)، وبرفقته ذاك الرجل الآخر المحترم ذو الملابس الأنيقة (فريتز)_ إلَّا أنني تفاجأت بما لم يكن بالحسبان عندما وصلت إلى هناك؛ فلم أجد سابت بانتظاري كما ظننت..!

فسألت نفسي حينها:

_ ولكن كيف..؟! أليس من المفترض أن يكون هنا بالفعل؛ ينتظر وصولي في أيَّة لحظة!!

عندئذ بدأت مشاعر القلق تراودني، وكذا شيء من الخوف والارتباك، لا أدري ماذا يمكن أن يكون قد حدث! كما خالجني شعور غريب بأن شيئًا من تلك الرسالة الغامضة التي تسلَّمتها لم تكن موجَّهة إليَّ من سابت، وإنما هي خدعة ذكية من شخصٍ ما للإيقاع بي ليس إلَّا..!

فأخذت أنظر من حولي؛ أترقَّب وجود شخص ما بالجوار فيهجم علي على حين غفلة ويطيح بي أرضًا، أو يصيبني برصاصة ما من الخلف.

وظلت هكذا لبضعة دقائق حتى شعرت بعينٍ ما تراقبني، يتبعها صوت يقول:

_ كنت متأكدًا بأنك ستأتي، فطالما وثقت بكَ أيُّها الجندي الشجاع.

التفتت على الفور فوجدت سابت هناك في أعلى التلّ يمتطي جواده، ويرفع يده تحيَّة لي، فبادلته التحيَّة ومن ثَم بدأ يهبط بإتجاهي إلى أن وصل إلي وصار في مواجهتي، فنزل من فوق الجواد، وكذلك فعلت أيضًا. فتصافحنا ثمَّ بدأ حديثه إلي بقوله:

_ أهلًا بعودتك أيُّها الملك!

لقد دعاني بالملك للمرَّة الثانية حتى الآن، وكان هذا كافيًا لكي أعلم ما الذي أتيت إلى هنا من أجله، فقلت له:

_ أفتقد دولتي كثيرًا! أننطلق إليها الآن، أم سيكون علينا الانتظار حتى حلول المساء؟!

تبسَّم وقال لي: يسعدني أنك متحمِّس كلّ هذا القدر؛ فأخشى أننا على وشك خوض مغامرة جديدة لا ندري ما سيكون بانتظارنا خلالها.

ثم تابع قائلًا:

_ فلنذهب الآن إلى كوخ الصيد لكي تسترح قليلًا، وعندما يحين الوقت سننطلق مباشرة صَوب العاصمة.

بدأنا نمضي في طريقنا إلى الكوخ الذي يبعد خمسة عشر ميلًا تقريبًا، وفي الطريق داربيننا الحوارالآتي، والذى بدأته بسؤالي لسابت عن فريتز، فأجابني:

_ لقد كلَّفته ببعض المهام في القصر، وطلبت منه أن يظل برفقة الملك ريثما نعود إليه معًا هذا المساء.

فسألته قائلًا:

_ وهل كان يعلم بشأن رسالتك..؟

فأجابني:

_ نعم.. بالطبع. لقد رجَّح بأنك ستأتي، وللمرَّة الثانية لم يخِب أملنا بك أيها الجندي.

فعقَّبت على جملتهِ الأخيرة، وقلت له:

_ آمل كذلك بأنني للمرَّة الثانية سأتمكن من البقاء على قيد الحياة.

تبادلنا الضحك الذي سرعان ما أعرض عنه سابت، إلَّا أنني استغرقت فيه إلى حدٍّ ما حتى سألني سابت:

_ أتذكر ما قلته لنا فيما مضى؛ عندما اجتمعنا معًا في غرفة الملك قبل مغادرتك؟

لقد قلت بأنك لن تقول لنا وداعًا؛ و إنما ستقول إلى لقاءٍ قريبٍ أو بعيد؛ أودُّ أن أعلم ما الذى كنت تعنيه بقولك هذا آنذاك ؟

فأجبته:

_ لا عليك! فقط شعرت بأنني سأعود إلى روريتانيا يومًا ما.

فأردفَ سابت بمكرٍ:

_ أم أنَّ شيئًا آخر قد داربرأسك؟!

سألته:

_ ماذا تقصد؟!

فأجابني:

_ لا عليك! فلتسترح قليلًا الآن، وسنكمل حديثنا في وقتٍ لاحق.

أمضينا الطريق بأكمله ولم يتفوَّه أحدنا بكلمة واحدة؛ فقد انشغل كلانا بما لديه من أفكار ومسؤوليات؛ كما هو الحال معي الآن، فأنا على وشك خوض مغامرة جديدة، ولا أدري كيف صار الوضع في قصر بيرلسدون بعد ذهابي. فظلَّ الحال بنا كذلك حتى وصلنا إلى الكوخ.

_ وها قد عدنا مرَّة أخرى من حيث بدأنا! (قلت لسابت)؛ وما لبث أن أجابني قائلًا:

_ نعم. أظن ذلك! والآن إذهب ونل قسطًا من الراحة؛ فلدينا رحلة طويلة في المساء.

دخلت إلى الكوخ، وبدأت أتنقل هنا وهناك فلم أجد أحدًا بداخله. لا أعلم ما إن كان على هذه الحال منذ مقتل جوزيف وهروب تلك الماكرة والدة جوهان، أو أن هناك خدم جُدُد يعملون به، ولكن سابت من أمرهم بالذهاب لأنه كان يعلم بقدومي!

لا بأس بهذا على أيَّة حال (قلت في نفسي)، ثمَّ ذهبت للاستحمام أولًا، ومن ثمَّ توجهت إلى الغرفة حيث قضيت ليلتي فى الزيارة السابقة.

حاولت جاهدًا أن أنام؛ إلَّا أنني لم أستطع! فلا زال صدا صوت تلك الكلمات التي قالها سابت يرنّ في أُذناى.. "أم أن شيئًا آخر قد دار برأسك آنذاك؟!"،"أم أن شيئًا آخر قد دار برأسك آنذاك؟!".

عندئذ نهضت من فراشي وذهبت للتحدُّث إلى سابت، ولكنني لم أجده. يبدو أنَّه قد ذهب لقضاء حاجةٍ ما (قلت في نفسي).

عندها قرَّرت أن أتجوَّل قليلًا في الغابة، و أثناء ذلك سمعت صوت صهيل حصان يأتي من خلف الكوخ. فذهبت ألقي نظرة، فإذ بي أجد سابت يقف هناك بجوار النهر يسقي جواده.

فتوجَّهت نحوه، وعندما أشرفت على الوصول إليه؛ ظننته لم يشعر بي إلَّا أنَّه فاجأني بسؤاله غير المتوقع:

_ والآن ماذا؟ أتذكَّرت ما كان يدور برأسك آنذاك..؟!

فتبسَّمت وقلت له:

_ لم أنسَ ذلك قط!

فسألني عقبها:

_ إذًا فأنت تعلم لمَ أنت هنا الآن، أليس كذلك؟!

فقلت:

_ بلى، أنا أعلم جيدًا بأن شخصًا يهوى القتال وإراقة الدماء مثل (روبرت) لن يتوقف حتى يقوم أحدهم بقتله، ولن أتردَّد في فعل هذا متى أُتيحت لي الفرصة.

فقال سابت:

_ ولكن أخشى أنَّه لن يعود إلينا بمفرده؛ وإنما سيصحب معه من هم أكثر منه سوءًا ووحشيَّة..!

فسألته:

_ من تقصد؟ وكيف علمت بأمر عودته؟ هل ظهر في ستريلسو مؤخرًا؟!

أجابني سابت:

_ لا ليس بعد ! ولكنه سيفعل عما قريب. فمنذ بضعة أيام جاء رجلٌ إلى القصر الملكي ليبلغ عن مؤامرة خطيرة تدور بين زعماء عصابة وواحد من أخطر مجرمي البلاد يدعى (مارك سبانر)؛ والذي تم نفيه من روريتانيا قديمًا من قبل الملك رودولف الرابع. لقد تحالف معه روبرت من أجل اختطاف ملك روريتانيا، ولا شك أنها ستكون فرصة سبانر للإنتقام من كلا الملكين معا الرابع والخامس.

قالها سابت بعصبيةٍ، ثمَّ أردَف:

_ إلَّا أننا لازالنا نجهل ما الذي يخططون لفعله إن نجحوا في اختطاف الملك..! فقد أعددت لمواجهتهم، وذهبت إلى ذاك المكان حيث أخبرني الشاهد بأنه قد رأى روبرت وسبانر؛ إلَّا أنني لم أجد أيًّا منهما عندما وصلت إلى هناك.

فقلت له مُرجِّحًا:

_ ربما كان يكذب بشأن ما أخبرك به..!

_ لا لم يفعل! بإمكاني الوثوق به لأكثر من سبب. (أوضح سابت)؛ ثم تابع حديثه قائلا:

_ وأما الاحتمال الأكبر لدينا أنهم قد علموا باكتشاف مخططهم؛ ففروا إلى مكانٍ آخر. ولا يمكنني التغاضي عما يفكرون به في تلك اللحظة؛ فأنا لا أدري متى أو ما الذي يخططون له؛ لذا فقد أرسلت إليك طلبا لمساعدتك.

فقلت له بثقةٍ بالغة:

_ لا تقلق! فأنا هنا الآن، ومعا سنتمكن من القضاء عليهم جميعًا.

فقال سابت بحزم:

_ القضاء عليهم ليس بتلك السهولة، فلازلت تجهل حقيقة مع من تتعامل !

سبانر مجرم لا يستهان به، ولا يمكنك توقع ما قد يفعله !

يتوجب على الجندي أولًا أن يقدِّر قوَّة خصمه الحقيقية ما إن أراد التغلُّب عليه، وما دمنا نجهل نواياه؛ فيجب أن نتوخى الحذر طوال الوقت، ونعمل على حماية الملك. تلك ستكون الخطة (أ) إلى أن نتوصل لدليلٍ آخر، ومن ثم نرتّب لخطوتنا التالية.

شعرت في ذلك الوقت أن ثمة أمرًا ما يُخفيه سابت، ولا يودُّ الإفصاح عنه.

تُرى لما يثق كثيرًا في كلام ذلك الشاهد؟؛ فتلك ليست بعادته !

ترى من يكون؟! وهل كان سابت على علم بشأن ما أخبره به من قبل أم لا؟ أظن أنَّ من الأفضل لي أن أعلم بالشيء في وقته المناسب! (قلت في نفسي).

قاطعنى صوت سابت عندئذ بقوله لى:

_ بقي أمامنا وقتٌ قليل قبل الغروب، علينا أن نستعد للذهاب في الحال.

عدت مسرعًا إلى الغرفة لحزم أمتعتي، ومن ثم انطلقنا على الفور إلى ستريلسو.

وقد اتخذنا الطريق ذاته الذي سلكناه من قبل؛ إلَّا أننا قرَّرنا العدول عنه قليلًا من أجل الوصول إلى أحد المتاجر في بلدة مجاورة تدعى (ميلاند)؛ لنبتاع قليل من الأطعمة، إذ كنت أتضور جوعا، ولم يكن هناك أحد بالكوخ ليعدّ لنا بعض الطعام..!

جلست مع سابت إلى إحدى الطاولات، بعد أن أخفيت وجهي باستخدام قطعة قماش كي لا يتعرَّف علي أحدٍ سكان البلدة ومن ثم بدأنا في تناول الطعام.

وصادف وجودنا هناك وجود بعض الصغار بالجوار يركضون ويلعبون معًا لعبة ما، حيث ينقسمون بها إلى فريقين.. يمثِّل أحدهما فريق الملك وحرَّاسه، وأما الآخر فيمثِّل فريق اللصوص. لفت انتباهي أنا وسابت أن أحد اللصوص قد أسر واحد من الحراس وبدأ يسأله عن المكان حيث يختبئ الملك؟ والغريب أن الحارس قد أجابه على الفور بأن الملك يختبئ هناك مشيرا بإصبعه إلى مكان ما.

بالطبع لم يصدق اللص ما قاله، وظن أنها خدعة للإيقاع بهم. فأعاد عليه السؤال مجدَّدًا، ومنحه الحارس الجواب عينه مرة أخرى، وأخبره بأن الملك يختبئ في المكان الذى أشار إليه.

وفجأة قام بقيَّة الحرَّاس بهجومهم على فريق اللصوص ونجحوا في القبض عليهم جميعًا، ولكن الغريب في الأمر أن الحارس لم يكن يدَّعي هذا؛ فقد كان الملك يختبئ حقًا في المكان حيث أشار!

بدَت على سابت علامات الغضب، وسرعان ما استدعى ذاك الصغيروأخذ يعنِّفه بشدَّة ويسأله:

_ لمَ أفصحت عن مكان الملك، أليس من المفترض بك حمايته..؟!

فأجابه:

_ بلى.. أعلم ذلك! ولكنني وثقت بأن المجرم لن يصدقنى؛ حتى وإن أخبرته بالحقيقة. ففي النهاية هو لا يتوقع مني فعل ذلك؛ لذا فقد أعددت الخطة لتشتيت انتباهه إلى أن نتمكن من النيل منهم جميعًا. فتلك هي خطتنا.. (إن أمسكوا بي؛ فسأقول الحقيقة !).

نظر سابت إلى الحارس الصغير، واستحالت علامات الغضب على وجهه لعلامات أخرى يملؤها التعجَّب والدهشة لما فعله الصغير؛ فقد أعدَّ خطة محكمة للإيقاع بعدوِّه، فقال له:

_ يا لك من جندي مخادِع وذكي أيها الفتى !

رفع الصغيريده لإلقاء التحيَّة العسكرية، ولم أخال سابت ليفعلها؛ إلَّا أنَه خيب ظنى وبادل الصغير تحيَّته، ومن ثمَّ انصرف الصغير وذهب إلى فريقه لاستكمال لعبتهم.

_ يا لها من خطَّة..! (علق سابت)، ثمَّ تابع حديثه إلي قائلا:

_ فلنذهب الآن؛ لقد تأخرنا كثيرًا! لا شك أن الملك بانتظارنا.

وعلى الفور سلكنا الطريق كما اعتدنا في الأيام الخوالي، وعندما وصلنا إلى ستريلسو رأيت أن سابت بالفعل قد أعد مسبقًا كافة الترتيبات اللازمة لدخولنا دون أن نلفت الانتباه؛ فأدركت أنَّه لم يشك قط في عودتي.

مررنا عبر إحدى البو ابات الكبيرة للمدينة حيث كان ينتظرنا أحد رجال سابت الأوفياء، ولكنني بالطبع لا أزال متخفيًّا، فلم نجد صعوبة في الدخول إلى المدينة؛ إذ كان الوقت متأخرًا، وقلَّة من الأشخاص فقط يتواجدون بالشوارع؛ إذ كانت الساعة قر ابة الثانية عشر والنصف بعد منتصف الليل.

_ يا إلهي..! كيف نسيت أن أسأل عن هذا؟!

تحدثت إلى نفسى بصوتٍ منخفض إلى حدٍّ ما، ولكنه لم يكن كذلك بالدرجة الكافية؛ فقد سمعني سابت، وسألنى:

_ ما الذي نسيت أن تسأل عنه..؟!

فأجبته بتوتر: لا. لا شيء !

أظننت حقًا أنَّه الوقت المناسب لهذا يا ذا الشعر الأحمر! (عنفت نفسي)

والجدير بالذكر.. أن سؤالي كان يخصّ الأميرة فلافيا؛ فقد رغبت كثيرًا في سماع أخبارها، ولكنه ليس الوقت المناسب لهذا.

لم يعقب سابت على قولي، ومضينا قدمًا في طريقنا حتى وصلنا إلى القصر.

الفصل الثالث

"ليلَة اختِطاف الملِك"

وها قد وصلنا أخيرًا إلى قصر ملك روريتانيا. (قلت لنفسي)

فذهبنا على الفور إلى الداخل عبر مَمَرٍّ سرّي بالخلف لا يعلمه أحد سوى سابت والقليل فقط من جنوده ؛ إلَّا أنَّه لم يعطِ أوامره بتأمينه؛ لكي نتمكن بالطبع من العبور خلاله _كما استنتجت آنذاك_ دون أن يشعر بنا أحد ما.

أسرعنا إلى الأعلى نحو غرفة الملك، وعندما وصلنا لم نسمع صوت أحد ما بالداخل فظنَنا أنَّه قد غطَّ في نومٍ عميقٍ كعادته؛ فطرَق سابت على باب الغرفة طرقتين فقط؛ وما لبث أن تلقينا سؤال عمن بالخارج، فأجاب سابت:

_ إنَّه أنا سابت، وأصطحب معي ضيفنا القديم.

فأذن لنا الملك بالدخول على الفور، وعندما ذهبت إلى الداخل لحظت كيف تفاجأ كثيرًا بعودتي.

فعلقت على هذا مع نفسي قائلا:

_ يبدو أنَّه الشخص الوحيد الذي لم يتوقع ذلك..!

فنهض من مجلسه مع فريتز، وهو يصرخ باسمي عاليًا:

_ راسندل..!!

ثمَّ تقدَّم باتجاهي، وعانقني وهو يقول:

_ مرحبًا بك يا ابن العم! سررت كثيرًا برؤيتك مجدَّدًا.

فأجبته:

_ و أنا كذلك أيّها الملك، لقد سررت بعودتي إلى هنا كثيرًا.

ثمَّ عقَّب فريتز:

_ أهلًا بعودتك يا صديقي! سعيد بأنك هنا الآن؛ فنحن فى أمس الحاجة إليك.

عندئذ استأذن سابت من الملك وذهب لإعداد جنوده في الخارج وإعطائهم بعض التعليمات الهامة.

لم يمضِ الكثير من الوقت على خروج سابت حتى سمعنا صوتًا صاخبًا اضطربت له الأجواء، تبعه صوت تبادل إطلاق النيران يأتي من الأسفل، ونداء أحد الخدم يستغيث من قيام بعض المجرمين باقتحام القصر وهم الآن في طريقهم إلى الأعلى نحو غرفة الملك، فقلت لنفسي:

_ إذًا هذا ما كان يعنيه سابت بقوله أن.. سبانر مجرم لا يمكن التنبؤ بتصرفاته.

واستنتجت أن سبانر قد بدأ خطته بالفعل لاختطاف الملك، لم أدرِ ماذا علي أن أفعل وشُلَّ تفكيري لوهلة. عندئذ نظر إلي فريتز، وقال بعصبية:

_ ماذا سنفعل يا راسندل؟!

لكنني لم ألتفت إليه؛ فقد كنت مشغولًا أحاول العثور على إجابة لهذا السؤال، ولم أشعر بنفسي إلَّا و أنا أُردِّد بشفتيَّ كلمات سابت التي قالها لي بجوار ذلك النهر..

"إنهم يخططون لاختطاف الملك"،"إنهم يخططون لاختطاف الملك" ومن ثمَّ قلت في نفسي:

_ نعم. تلك هي! والآن يجب أن نعلم ما الذي ينوون فعله بعد ذلك!!

قطع تفكيري صراخ فريتز بسؤاله لي:

_ بماذا تفكر؟!

فالتفتتّ إليه على الفور، وقلت له:

_ علينا أن نخبئ الملك بمكانً آمن قبل وصولهم إلى هنا.

فتساءل الملك:

_ ما الذي تخطط له يا راسندل..؟!

فأجبته قائلًا:

_ لا تقلق أيُّها الملك، أنا هنا الآن من أجل شعب روريتانيا بأكمله، وحاليًا دولتك في أمَسّ حاجتها إليك؛ ولذا يتوجَّب علي حمايتك.

فأردفَ قائلًا:

_ ولمَ تعرِّض حياتك للخطر من أجلي، فنحن لا ندري ما الذي ينوي أولئك المجرمين أن يفعلوا بي !

فعقَّبت على حديثه:

_ وهذا ما يؤكد لى أنني سأكون بخير؛ فقد أخبرني سابت عن خطتهم لاختطاف الملك، وليس لقتله.

ثمَّ تابعت:

_ لا تقلقوا، أنا أعي تمامًا ما أفعله، فقط هناك شيء أخير أودُّ منك يا فريتز أن تبلغه لسابت.

_ وما هو..؟! (تساءل فريتز)

_ في حال أنَّه قد كشف أمري أخبره، بأنني سأنتقل إلى الخطة (ب).

_ ماذا..؟! (تساءل الملك بدهشة)

فاستأنفتُ حديثي:

_ فقط أخبره بذلك، وهو يعلم جيّدًا ماذا عليه أن يفعل.

_ حسنًا. لك هذا! (قال فريتز)

ثم عقَّب:

_ الآن علينا حماية الملك، ولكن كيف؟!

عندئذ نظرت بطرف عيني إلى الجهة المقابلة، وقلت بحنكة:

_ إلى السرداب !

أسرعنا بإدخال الملك إليه، وقبل اقتحام القصر بقليل أخبرت فريتز بأن يبلغ سابت رسالتي التالية.. "إن أمسكوا بي؛ فسأقول الحقيقة".

عندها بدت على وجه فريتز علامات الدهشة. فما كان مني إلَّا أن قلت له:

_ أرجو أن تخبره بذلك!؛ فإن لم تفعل فلا أضمن بقائي على قيد الحياة.

نظر إلي، ثمَّ قال بقلبٍ يخفق من شدة الفزع:

_ لا أعلم بشأن ما يدور بينك وبين سابت!، ولكن آمل أن تنجحا في هذا.

فأجبته:

_ لا تقلق! فقط عليك أن تفعل مثلما أقول، وأعدك بأنني سأخبرك بكلّ ما يجري؛ فقط إذا بقيت على قيد الحياة.

وما لبث أن دخل مع الملك إلى ذلك السرداب حتى اقتحم ثلاثة مجرمين الغرفة، فهاجمني أحدهم بضربة قوية على رأسي أفقدتني الوعي، فسقطت على الأرض ولم أدرِ بما حدث بعد ذلك !

وما إن وصلت رسالتي إلى سابت؛ حتى علق عليها قائلا:

_ أعلم جيدا ما الذي يدور في رأسه..!

ثمَّ تابع:

_ لقد عثر راسندل أخيرًا على طريقة تمكننا من الوصول إليهم وكشف مخططاتهم، فلم يظن هناك خطة أفضل من استبدال نفسه بالملك؛| لكي نتمكن من كشف حقيقة ما يجري، وهو محق تمامًا في هذا.

_ أحسنت أيها الجندى..! (قال سابت).

_ آمل أن ينجح في خطَّته، وإلا..!! (عقب فريتز).

_ لا تقلق..! (قاطعه سابت).

ومن ثمَّ أردفَ:

_ أنا أثق به كثيرًا، لا شك بأنه سينجح. وإن كان استنتاجي صحيحا، فقد أعد مسبقا لتنفيذ خطته. لا شك أن هذا تمامًا ما كان يعنيه بقوله في طريقنا إلى هنا.. "آمل ألَّا أضطر لفعل ذلك !" ..تلك الجملة التي قالها مباشرة عقب مشاهدتنا لعبة أولئك الصغار؛ إلَّا أنني لم أفهم ما كان يرمي إليه حينئذ.

فقالت الأميرة بنبرة هادئة:

_ أرجو أنَّه سيكون بخير! فحياته ليست بأقل أهمية من حياة الملك رودولف.

ثمَّ شردت قليلًا، ومن ثم بدأت أسئلتها تتلاحق الواحد تلو الأخر..

لما عاد راسندل مجددًا؟، ولماذا الآن؟، وما علاقته باختطاف الملك؟!

_ يا إلهي..! لا أعي ما يجرى في تلك الليلة، فليخبرني أحدكم ما الذي يحدث؟!

قالتها الأميرة بعصبيَّة.

عندئذ بدأ الملك في سرد القصة بأكملها.. بداية من ذاك الخطاب الذي أرسله إلي سابت مرورًا بخطتنا التي وضعناها، وحتى حلول تلك اللحظة التي تشهدها الأميرة بأم عينها. وعندما انتهى من سرد قصته توجهت الأميرة بسؤالها إلى سابت _الذي سبق

وأن سألته إيَّاه أيضا بجوار النهر_ عن هويَّة ذلك الرجل الذي أبلغه بمؤامرة روبرت وسبانر؟!

فبدا على وجه الملك وفريتز من الفضول لسماع تلك الإجابة ما استحثَّ سابت على الإدلاء بحقيقة الأمر_إذ علمت فيما بعد أنهما كذلك ما كانا يعلمان بأمر هذا الرجل_ فلم يعد هناك مفرّ الآن من إدلاء سابت بالحقيقة.

عندئذ بدأ يقصّ عليهما شيئا من تاريخ دولة روريتانيا في عهد ملكها الراحل "الملك رودولف الرابع"؛ إذ كانت المفاجأة أن اتضح بأن الجندي الذي وكل بحماية الملك الرابع آنذاك كان هو نفسه والد سابت، الذى يدعى (هيكس بيلار) ويحمل لقب جينرال.

وقد حدَّث سابت عن كثير من المؤامرات التي دارت في عهده بداخل قصر الملك، والتي كانت إحداها الإيقاع بذلك الشاهد الذي يدعى (روبن)، والذى كان يعمل خادمًا في قصر الملك رودولف الرابع منذ عقود مضت.

فذات يوما اتهمته زوجة الملك السيدة (هيلين سي كراول) _والدة مايكل_ بأنه سرق بعض المجوهرات من خزانتها الخاصة؛ إلَّا أن روبن كان معروفًا بأمانته؛ فلم يصدق الملك ما قيل عنه، ولكنه لم يبقَ عليه في القصر بعد عثورهم على تلك المجوهرات المسروقة في غرفته.

فعندها أمر الملك الرابع بطرده على الفور، ولكنه إكتفى عند هذا الحد؛ فلم يرسله إلى السجن نظرًا لأمانته طوال فترة عمله لديه.

وأضاف سابت بأن جينرال بيلار أخبره أن روبن قد ذهب إليه لاحقًا، وأوضح حقيقة ادعاء السيدة هيلين بسرقته لتلك المجوهرات، فقد أعدَّت مكيدة للإيقاع به بعد أن اكتشف محاولتها لاغتيال الملك رودولف الخامس _عندما كان صغيرًا في الثانية عشر من عمره_ فلم يبقَ لديها سوى إعداد تلك المكيدة للتخلص منه قبل أن يكشف أمرها أمام الملك.

تساءل الملك بعد سماع ذلك:

_ ولمَ لَم يدلِ جينرال بيلار بهذا أمام والدى؟

أجاب سابت:

_ لأن روبن قد اختفى في تلك الليلة بعد ذهابه، ولم يعثر عليه أحدهم منذ ذلك الوقت.

_ لكن أليس غريبًا أن يعود مجددًا بعد كل هذه المدَّة، ويخبرك عن مؤامرة تدور الآن بين روبرت وسبانر لاختطافي؟! (عقب الملك)

_ بلى! ولكن الأغرب هو ما أخبرني به عن سر اختفائه كل تلك الفترة.

_ وما هو؟! (تساءل فريتز).

_ لقد كان محتجزًا لدى سبانر بأمر من السيدة هيلين؛ وهذا يعني أن جميع جرائم السرقة التي ارتكبها سبانر في سالف عهده بداخل روريتانيا كان بمساعدتها. لا شك أنها زوَّدته بكافة المعلومات التي تمكِّنه من ارتكاب كلّ تلك الجرائم والإفلات بفعلته قبل أن يقبض عليه.

صمتَ فريتز قليلًا، ومن ثمَّ عقب قائلًا:

_ ولكنني أذكر أن سبانر أُلقي القبض عليه بعد ذلك في مناوشات دارت بينه وبين الحراس عند محاولته سرقة الصرافة المركزية في العاصمة ستريلسو.

نعم، لقد كان جينرال بيلار هو الذى أوقع به؛ ولكى يتمكن من ذلك قام بتزويد الملك رودولف الرابع بمعلومات مزيَّفة ! فقد علم أن هيلين ستحاول مساعدة سبانر فى تنفيذ جريمته؛ ولذا فلم يكن أمامه خيار آخر سوى فعل هذا؛ فقط لكي يتمكن من القبض عليه وإحباط جميع مخططاته، ومن ثمَّ يتمكن من الإيقاع بهيلين أيضًا.

_ وهل يعلم راسندل بكل هذا الأمر؟! (تساءلت الأميرة).

فأجابها سابت:

_ لا، فأنا لم أخبره بكل ذلك.

_ وما الذي يدفعه إذًا لتعريض حياته للخطر؟! (علقت مستنكرة)

فعقب سابت:

_ وما الذي دفعه من قبل على فعل ذلك..؟!

وسط كل التساؤلات، قاطعهما الملك بسؤاله:

_ حسنًا يكفى هذا، والآن ماذا سنفعل؟

_ الآن سنحاول إيجاد طريقةٍ ما لمعرفة المكان حيث يحتجز راسندل. (أجاب سابت)

_ وماذا إن لم نستطع؟ (تساءل فريتز).

حينها سبانر هو من سيعثر علينا؛ وهذا إن اضطر راسندل لاتباع الخطة (ب).

(كان هذا هو الحوار الذي دار بينهم عقب اختطافي، وأما أنا فلا أذكر سوى تلك الضربة التي تلقيتها على رأسي من الخلف فسقطت فاقدًا الوعي ولم أدرِ بما حدث بعد ذلك؛ حتى استفقت في اليوم التالي على صوت أحد ما يقول:

_ يا إلهي إنَّه يشبهه تمامًا بالفعل، وكأنهما الشخص عينه).

خشيت أنَّه قد كشف أمري لو أنَّ أحدهم استطاع التعرُّف علي _ فلا يزال الوقت باكرًا جدًّا على هذا_ إلَّا أنني استمريت في التظاهر بالإغماء؛ فكان هذا كل ما لديَّ لأفعله، ومن ثم بدأت أتحقق من صاحب ذلك الصوت الذي بدا وكأنه شخص ما أعرفه جيدًا.

وعلى الفور أدركت لمن كان يعود هذا الصوت !

هذا مستحيل، قطعًا لا يمكن أن يكون صحيحًا، أهل هو حقًا صوت الآنسة ديفيلن؟! نعم إنَّه هو، ولكن كيف؟، ما الذي قد يأتي بها إلى هنا؟، هل يُعقل أن لها علاقة باختطاف ملك روريتانيا؟

دارت بذهني كلّ هذه الأفكار، وتزاحمت برأسي كلّ تلك الأسئلة؛ فوددت لو أستطيع الحصول على إجابة أيٍّ منها، إلَّا أن الفرصة لم تواتنى لذلك؛ فقد ردَّد الصوت مجدَّدًا وقال:

_ سوف أذهب الآن؛ لن أتمكن من البقاء مدَّة أطول، أرسلوا إلي عندما يحين الوقت.

_ ماذا؟، تُرى عن أيّ وقت تتحدث؟! (تساءلت في نفسي).

سمعت وطأ أقدامٍ على الأرض مبتعدة عن المكان حيث كنت مستلقيًا؛ فعلمت أنها قد ذهبت. وأما الغريب في الأمر هو ذلك الحوار الذي داربين هذين الرجلين بعد ذهابها، ولحسن الحظ فقد استمعت له بالكامل؛ فتمكنت من كشفِ جزءٍ هامٍ من الحقيقة دون أدنى تعب.

فقد استمعت لصوت آخر لم يصعب علي معرفته؛ بالطبع كان هذا صوت السيد ويليام يتحدث إلى الرجل الذي يقف بجواره، ويقول له:

_ والآن أخبرني.. ما رأيك في هذا؟، ألم أقل بأنني سأتمكن من إحضارها إلى هنا..؟!

فأجابه الآخر بصوتٍ يتردَّد في صخبٍ ودهاء:

_ نعم.. هذا جيّد، من الأفضل أن تسير الأمور على ما يرام وفق أوامري حتى يحين الموعد لبدء خطتنا التالية؛ وإلَّا فسيكون أحدهم في مأزقٍ كبير، وأنت تعلم جيدًا عمَّن أتحدَّث، أليس كذلك؟!

_ بالطبع يا سيدي، لا تقلق بشأن هذا.

أجابه ويليام بنبرة مضطربة، ثمَّ تابع قائلًا: كل شيء على ما يرام طالما كان الإتفاق بيننا ساريًا؛ فقد أوفيت بوعدي وقمت بما طلب مني روبرت أن أفعل على أكمل وجه؛ ولذا فأرجو بأنه أخبرك بالمقابل الذي أستحق، أليس كذلك يا سيد سبانر؟!

_ هل قال سبانر!! يا إلهي..! إنَّه المجرم الذي أخبرني عنه سابت. (تحدثت إلى نفسي)

أجاب سبانر على حديث ويليام بحزم وصرامة قائلًا:

_ هذا بينك وبين روبرت، وأما أنا.. فلن أسمح لأحدٍ ما بأن يقف في طريقي؛ وإن حاول أحدهم أن يفعل، فلن أُبقي عليه حيا، أسمعت هذا؟ تذكَّر جيدًا ما الذى أقول.

انتهى سبانر من حديثه _أو تهديده بمعنى أدق_ ومن ثم أعرض عن ويليام، وأمر رجاله بنقلي إلى زنزانة في القبو.

عندئذ أدركت أن السيد ويليام لا يثق به، وكذا الآخر لا يفعل..!

_ حسنًا.. هذا جيد؛ فقد يضمن لي هذا سلامتي نوعًا ما..! (قلت في نفسي).

ما إن أوصلني هؤلاء الرجال إلى القبو؛ حتى صار بإمكاني الآن الكفّ عن التظاهر بالإغماء، وبالطبع كان هناك العديد من التساؤلات تدور في رأسي، وكان أكثر ما يشغلني آنذاك هو سؤال واحد لم أستطع معرفة جوابه بعد..!

_ تُرى ما سبب تواجد ويليام وديفيلن في هذا المكان؟، وما هي مصلحتهم للتآمر مع روبرت على اختطاف ملك روريتانيا؟، تُرى من كان يقصد ويليام بحديثه عندما قال بأنه نجح في إحضارها إلى هنا؟؛ أيعقل أنَّه كان يقصد ديفيلن بهذا الحديث..؟! يبدو أن هناك سر ما علي معرفته..! (قلت لنفسي).

أمضيت بعض الوقت مع نفسي أفكِّر فيما يجري، وأحاول ربط الأحداث مع بعضها؛ فقد أصل لنتيجة مُرضية أو إجابة لكلّ تلك الأسئلة، إلَّا أنني لم أستطع تذكُّر سوى شئ واحد فقط.. وهو ذاك المشهد الأخير في القطار قبل ذهابى؛ بينما كانت

ديفيلن تقف هناك في العربة التي أمامي تتحدث إلى ويليام، ويهمس أحدهما للآخر بشيءٍ غريب لا أفهمه !

لم أدرِكم من الوقت قد مضى و أنا أفكِّر؛ ربما ساعتين أو أكثر إلى أن قطع حدسي صوت أقدام تقترب من الزنزانة حيث كنت، وعلا هذا الصوت مقتربًا شيئًا فشيئًا حتى وصل إلى الباب الحديدي.

ومن ثم سمعت صوت انفراج القفل المعدني الكبير، والسلاسل تنسدل من فوق الباب فيُفتح ويدخل منه رجل غليظ الوجه، قوي البنيَة وطويل القامة، يرتدي بالطو أسود غامق وحذاءً كبيرًا كخُفّ الجمل، ويقترب نحوي بخطوات حازمة.

وسرعان ما شعرت ببرودة إناء من المياه أفرغه ذلك الضخم فوق رأسي لأستفيق؛ بينما كنت أتماثل الإغماء مجددًا.

ما إن استفقت حتى قال لي:

_ انهض الآن، فالقائد يريد التحدُّث إليك.

ثمَّ أخذني إليه يجرّني، ولم أفهم من الطريقة تلك التي يعاملني بها ما إن كان يعلم بأنني ملك لدولة أم لا ! على أيَّة حالٍ؛ لقد ساربي هذا الرجل الضخم خلال مسارات عدَّة لم أستطع حفظها؛ إلى أن وصلنا في نهايتها إلى غرفة ما حيث كان ينتظرن بها ذلك المجرم سبانر؛ الذي بالكاد استطعت التعرُّف عليه من رؤيتي المشوَّشة له في صباح اليوم، فبدأ سبانر حديثه إلي قائلًا:

_ مرحبًا بك أيُّها الملك! أخبرني.. ألم تتعرَّف على هذا الوجه بعد؟

فأجبته مستنكرًا:

_ معذرةً..! ومن قد يرغب في تذكُّر مثل هذا الوجه القبيح ؟

عندها حظيت بضربة أخرى على رأسي، ولكنها لم تكن كافية لتفقدني الوعى مجددًا؛ فلحسن الحظ لم يكن هذا غرضهم فى تلك المرَّة، فتابع سبانر حديثه إلي قائلا:

_ إنَّه أنا.. مارك سبانر، أتذكرني الآن؟

فأجبته:

_ نعم، أذكَّر بأنني سمعت هذا الاسم من قبل.

فقال لي:

_ حسنًا.. هذا جيِّد؛ لقد عدت خصيصًا لأجعلك تستعيد بعض من تلك الذكريات، ومن ثم أبدأ في كتابة المستقبل الجديد لدولتك الصغيرة أيُّها الملك.

بدأت مشاعر الخوف تزداد لديَّ شيئًا فشيئًا بعدما سمعته للتوّ، فسألته بقلق:

_ ماذا تقصد..؟!

فأجابني ببرودٍ شديد:

_ على رسلك، لا زال لدينا الكثير من الوقت للتحدُّث عن هذا، و أنت محظوظ بالفعل لأنك ستحصل على جميع إجاباتك عاجلًا أم آجلًا؛ فسيتوجَّب علي أن أفعل قبل أن أبدأ بتسوية حسابى مع كليكما.. أنت أيُّها الملك، وكذا حارسك المخلص ذلك أيضًا.

_ من تقصد؟! (سألته بدهشة).

فأجابني بنبرة يملؤها الحقد والكراهية:

_ ومن غيره..! بالطبع إنَّه سابت.

تبا لي! ليتني سألت سابت أن يفصح عما كان يخفيه، والآن فلم يعد هناك مجالا آخر لمعرفة الحقيقة سوى استدراج سبانر لكي يخبرني بها. (تحدَّثت إلى نفسي)

وبالفعل حاولت ذلك بسؤالي له:

_ ولما سابت؟!

لكنه أجابني بمكرٍ:

_ ستعرف هذا لاحقًا.

ثمَّ أمر بإعادتي إلى الزنزانة مرَّة أخرى؛ وكذا فقد أمر بإرسال بعض الطعام إلي؛ معلقًا على هذا بقوله:

_ لا بد من إطعام الفريسة أولا قبل ذبحها.

_ آه يا إلهي..! تُرى ما الذي يعنيه بقوله هذا؟! (سؤال آخر ألقيته على نفسي ولم أستطع معرفة جوابه)

بالطريقة عينها أعادني ذلك الضخم إلى حيث أخذني، وألقى بي داخل محل إقامتي الجديد، خلف تلك القضبان، ومن ثم ذهب لإحضار الطعام كما أمره سبانر أن يفعل.

لا أدري كم كانت الساعة حينها؛ فلربما كانت الثامنة مساءً أو ما إلى ذلك؛ فبدأت في تناول الطعام إذ كنت أتضوَّر جوعًا بالفعل، ولم ألقِ بالًا لقذارة الإناء الذي وضع به الطعام، وكذا ذاك الطعم الذي لم أتمكن من تحديد ماهيته؛ إلَّا أنَّه كان جيّدًا نوعًا ما كما بدا من مذاقة الغريب بعض الشيء، هذا الذي يشبه الملدنات.

وها قد انتهيت الآن؛ فشعرت بنعاسٍ كبيرٍ. لا أعلم ما إن كان هذا هو نتاج إرهاق التفكير في يومي الأوَّل في هذا المكان، أم أن شيئًا ما قد وضع لي في الطعام لكى أنم؟!

لم أصمد طويلًا للنقاش مع نفسي حول الإجابة الصحيحة قبل أن أغط في نومٍ عميقٍ استيقظت منه في صباح اليوم التالي _وكانت الساعة قرابة السادسة والنصف بتقديرى لها_ على صوت تلك السلاسل مجددا تنسدل من فوق القضبان؛ لكي يفتح الباب ويدخل منه في تلك المرَّة أكثر شخص تمنيت أن يقوم بزيارتي آنذاك؛ وكانت ديفيلن بالطبع هي ذلك الشخص الذي فعل.

حاولت جاهدًا ألَّا أظهر هذا الجانب من شخصيتي الذي تعرفه ديفيلن؛ كي لا يُكشف أمري أمامها؛ فلربما كان هذا هو اختبار سبانر الأوَّل لي للتأكد من هويَّتي الحقيقة؛ لذا فقد ادعيت بعض من عوائد الملك رودولف في عدم التكلُّف بالرسميات أحيانًا في معاملاته مع بعض الأشخاص قدر تعامله معهم بفطرته المضحكة بعض الشيء؛ تمامًا كما فعل عند لقائه بي للمرَّة الأولى؛ فقرَّرت أن أبدأ حديثي إليها بتلك المُجاملة:

_ لم أظن مجرم كهذا يحتفظ في عصابته بأُناسٍ أنيقين مثلكِ يا سيدتي..!

فقالت لى:

_ أشكركَ على هذا أيُّها الملك رودولف، ولكن ألَا ترى بأنه ليس الوقت أو المكان المناسب لمثل تلك المجاملات؟!

فعلقت على هذا بقولى:

_ لا بأس إن لم يكن مقدرا لي أن أراكِ في غير تلك الظروف.

فقالت ديفيلن:

_ ولمَ أنت مهتم بي كثيرًا..؟ يجدر بك أن تقلق بشأن ما ينتظرك في القريب العاجل..!

فأجبتها:

_ لا بأس! فلم أعد أُبالي بهذا، وأنا على وشك الموت خلال بضعة أيام؛ إلَّا أنني أخشى أن يقوم أحدهم باستغلالي لكي يصل إلى ما يريد، وأسعى دائمًا لمعرفة ما يدور من حولي، أما أنتِ يا آنستى.. فلا أظنك تفعلين، أليس كذلك؟!

_ ماذا تحاول أن تقول؟! (سألتنى ديفيلن).

فتابعت:

_ أحاول تنبيهكِ لما يدور بين شركائكِ الآخرين؛ فهم يخطِّطون لشيءٍ يتعلق بكِ كما فهمت من ذاك الحديث الذي داربينهم في صباحِ يوم أمس فور مغادرتك المكان.

_ ماذا تعني؟! (تساءلت ديفيلن وبدت على وجهها علامات القلق)؛ فظننت أنها خطوة جيِّدة لي فيما أفكر، فتابعت حديثى إليها على الفور:

_ أعني بأنني لست الوحيد هنا الذي يجدر به الحذر مما ينتظره في القريب العاجل كما تقولين.

عقَّبَت ديلفين:

_ محاولة جيِّدة منك أيها الملك! ولكن ينقصها المزيد من الكذب بعد لإقناعي بما تقول.

عقَّبت على حديثها قائلًا:

_ أظنكِ أنتِ من بحاجة لمزيدٍ من الوعي؛ لكي تتمكني بمعرفة ما يدور من حولكِ، فما يحاولون خداعكِ به هو فقط من أجل تحقيق أهدافهم الخاصة.

_ كفاكَ هراءً الآن، فأنا لم أعد أُبالي بما تقول. (قالت ديفيلن)، ثمَّ أعرضت عني وأوشكت على الذهاب قبل أن أمنعها بحيلة ذكية مع سؤال وجهته إليها:

_ أتصدِّقين دائمًا ما يخبركِ به السيد ويليام؟، ألم يكذب قطّ بشأن ما أخبركِ به؟!

لم تجب على سؤالي ولكنها بدت تفكِّر في شيءٍ ما، إلَّا أنني لم أتمكن من رؤية ملامح وجهها إذ لم تلتفت إلي بعد.

ولكنني أدركت حينها أن الجميع هنا لا يثقون ببعضهم البعض، ورغم أنني لا زلت أجهل الكثير بشأن مخططاتهم إلَّا أنني بِتُّ متأكدًا الآن أن لكلٍّ منهم مطامعه الخاصة؛ وإن تمكنت من تهديد أحدهم بمطامع الآخر؛ فقد يمنحني هذا فرصة جيدة لإحباط جميع مخططاتهم دون الحاجة إلى كشفها.

وعندها قرَّرت متابعة حديثي إلى ديفيلن قبل أن تذهب مجدَّدًا، وقلت لها:

_ لا أعرف ما الذي يدور في رأسكِ، ولكن جلّ ما أقوله لك هو فقط ما سمعته في صباح يوم أمس، فقد نشب خلاف بين ويليام وذلك المجرم؛ فعلمت حينها أنَّه الذى قام بخداعكِ وأحضركِ إلى هنا لمساعدتهم. أليس كذلك؟!

_ وماذا سمعت أيضًا؟! (سألتنى ديفيلن).

لم أرد المماطلة بعد؛ فقد حصلت الآن على ما أريد، ولذا فقد قلت لها بطريقة ساخرة:

_ لا يهم هذا! فلما عساي أهتم لأمركِ، يجدربي الإهتمام بشؤوني، ألَا ترين ذلك؟

عندئذ إلتفتت إلي ديفيلن وبدت على وجهها علامات الغضب، إلَّا أنها شردت قليلًا؛ فلم أدرِ بماذا تفكِّر! حتى وجدتها وفجأة تتقدَّم باتجاهي وتحمل بيدها سكينًا صغيرًا أخرجته للتوّ من حقيبتها..!

وقبل أن أتمكَّن من فعل شيء شعرت بألم شديد في إبهامي الأيمن، ومن ثم صوت ديفيلن يهمس في أذنى ويقول لى بنبرةٍ حادة بعد أن جرحت إصبعي:

_ إن كنت تكذب أيُّها الملك؛ فسأتولى قتلك بنفسي.

ثمَّ أعرضت عني وذهبت في طريقها إلى حيث لم أدرى إلى أين كانت وجهتها.

_ لم أعلم حينها لما أقدمت على فعل هذا، وما الذي عنته بتلك الكلمات التي قالتها لي، تُرى ما الذي تنوي أن تفعل؟

تساءلت في نفسي، ومن ثمَّ قمت بتمزيق قطعة من ثيابي ولففتها حول إصبعي لكى أوقف النزيف.

وها قد مضى ما يقارب الساعة والنصف على رحيل ديفيلن قبل أن يفتح الباب مجدَّدًا ليدخل منه اثنين من الحراس ويصطحبانني معهما بقوَّة دون التفوُّه بكلمة واحدة.

فبدأت أُتَمتِم مع نفسي:

_ يا إلهي..! أظنُّها لم تكن فكرة جيِّدة أن أفصح لديفلين عما سمعته بالأمس، ترى ما الذي ينوي أولئك المجرمين أن يفعلوا بي؟

سِرت في طريقي معهم بخطواتٍ مضطربة وقلب خافق ويدين ترتعد من شدَّة الخوف؛ حتى أوصلوني في النهاية إلى الغرفة نفسها حيث كان سبانر ينتظرني حاملا في يده وثيقة لا أدري ما هو مكتوب بداخلها !

_ مرحبًا بك أيُّها الملك. تفضَّل بالجلوس!

قال سبانر وهو يبتسم لي ابتسامة غريبة لم أفهم ما الذى يرمي إليه بها !

ثمَّ تابع:

_ آمل أنكَ قد نمت جيِّدًا في ليلة أمس.

فأجبتهُ بحذرٍ:

_ نعم. لقد فعلت! واستمتعت كذلك بتناول طعامي.

_ حسنًا. هذا جيِّد! فخطوتنا الأهم على وشك أن تبدأ، وسأكون بحاجة لقليل من المساعدة منك لتنفيذها.

قال سبانروقد أشار بيده التي يحمل بها تلك الورقة، ثم أمر الحارس بتحرير يدي من الأغلال التي تكبلها، وهنا كانت المفاجأة المفجعة بالنسبة له عندما شاهد هذا الجرح في إصبعي، فبدا غاضبًا جدًا وسألني:

_ كيف حدث ذلك؟!

فكَّرت حينها بأنني لا يجب أن أفصح عما حدث مع ديفيلن لحين أكتشف ما كانت تخطط لأجله؛ فقرَّرت أن أخفي حقيقة الأمروقلت بأنني لا أدري كيف حصلت عليه.

وقد كنت محظوظ للغاية؛ فيبدو أنني أحبطت أحد مخططاته أو ما شابه عن دون قصد؛ ولذا فقد أمر رجاله بإعادتي إلى القبو مجدَّدًا ويرسلوا لإحضار من يعالج إصبعي على الفور.

عدت إلى الزنزانة، ولم يمضِ الكثير من الوقت بعدها حتى وجدت الباب يفتح أمامي ليدخل منه رجل قصيروسمين، ذو هيئة غريبة، يرتدي ثيابًا تنبعث منها رائحة كريهة، ويحمل في يده حقيبة صغيرة تشبه الإسعافات الأوليَّة، ويتقدَّم نحوي عارجًا بقدمه اليسرى؛ التي تبدووكأنها اصطدمت بشيء ما أوما إلى ذلك.

الآن وقد وصل ذلك السمين إلى حيث كنت أجلس؛ فبدأ يفتح حقيبته شيئًا فشيئًا ويُخرج منها بعض الضمادات، وزجاجة بها سائل غريب ذو لون أخضر داكن، فسألته:

_ ما هذا ؟!

فلم يجِب على سؤالي، وإنما أخذ يضعه فوق إصبعي بيده التي تهتز وكأنَّه يعاني اضطراب في الأعصاب أو ما شابه؛ فتساقط الكثير من هذا السائل على الثياب التي أرتدي، فقلت له:

_ على رسلك يا رجل، ما الذى تفعله !!

فلم يجبني مرة أخرى، وقد وضع الضمادة على جرحي واستخدم قطعة قماش لتثبيتها عليه بطريقة عشوائية؛ فكان هذا الشخص أقرب لمهرّج عن كونه طبيب لا يفقه شيئًا عن العلاج.

ظننت أن الموقف مضحكًا، ولاسيما تلك الطريقة التي سار بها الطبيب مبتعدًا وظن أنَّه قد أنهي علاجه ببراعة كبيرة؛ فتبسمت وقلت في نفسي:

_ ماذا لديك بعد يا سبانر في عصابتك من أشخاص كهذا لتفاجأني بوجودهم؟!

في هذا المساء تلقيت إخطار من سبانر على لسان أحد رجاله بأنه يريد التحدث إلي! فتمتَمت فى نفسى: حسنا. والآن ماذا لدينا !!

ثمَّ قلت للحارس بنبرة ساخرة: أخبره بأن الملك سيو افيه بعد قليل.

فأخذني بقوَّة واصطحبني معه حتى وصلنا إلى مكانٍ ما في أعلى الوقر؛ حيث كان سبانر يقف هناك وينظر إلى الجهة المقابلة. فألقى الحارس بي أمامه، ثم تراجع قليلا إلى الخلف. عندها داربينى وبين سبانر حوارنا التالى؛ والذى بدأه بسؤاله لي:

_ والآن أخبرني أيُّها الملك، ماذا تودّ أن تعرف؟

فرددت عليه بسؤالي:

_ ماذا تقصد؟

عندئذ استداروقال لي:

_ لديَّ الكثيرلأرويه لك؛ ولكنني أودّ أن أعلم بمن تريدنا أن نبدأ أولا؟

فهل نبدأ بي؟، أم بوالدك الملك الرابع؟، أم بزوجته السيدة هيلين؟،،، أم بحارسك المخلص.. سابت؟؟

_ دعنا لا نتحدث عنهم الآن، ولنبدأ بك أنت يا سيد سبانر! (أجبته بحزم وثبات)

فقال لي:

_ حسنًا. لك هذا!

ومن ثمَّ بدأ يقص علي قصة طويلة عن أحداثٍ من سالف عهده في روريتانيا، ومن ذلك ما قصَّه سابت على الملك أيضا في ليلة اختطافي، حتى الوصول لتلك النقطة حين تابع سبانرتلقيني بعض من إنجازاته بداخل روريتانيا، فقال لي:

_ ولقد استمريت في ارتكاب العديد من الجرائم بداخل دولتك الصغيرة إلى أن تمكن جنودك من الإمساك بي عندما حاولت الاستيلاء على الصرافة المركزية بالعاصمة، وقد أمر الملك رودولف بإعدامي عندئذ؛ إلا أنني لا زلت حيًّا إلى الآن كما ترى.

ولكن ما سيدهشك حقا هوكيف أمكنني الهروب من تلك الزنزانة الخاصة لدى الملك؛ قبل أن ألقى عقوبتي بساعات قليلة..؟!

فأجبته:

_ لا شك أن السيدة هيلين هي من ساعدتك في هذا. أليس كذلك؟

فقال سبانر:

_ لا. ليس تمامًا! إنما حصلت على المساعدة من طفل صغيرلم يبلغ عمره سبعة أعوام بعد، ويدعى (مايكل).

_ ماذا؟! (سألته بدهشة).

فأجابني:

_ نعم أيُّها الملك، هذا صحيح!

وقد انضم إلينا مايكل بعد عدة أعوام، واشترك معنا في تنفيذ كافة الجرائم فى دولتك حتى وفاة هيلين، ومن ثم انصب تفكيره على كيفية تولّيه حكم البلاد بعد رحيل الملك رودولف، وعمل على تحقيق هذا جاهدًا بكلّ السُّبل المتاحة؛ فأراد أن تزداد شعبيته لدى سكان البلدة، وساعده فى هذا غيابك عن البلدة عندما كنت تدرس بالخارج لفترة طويلة. وبالمناسبة فلم يكن السبب الحقيقي لإقامتك بالخارج هو الدراسة فحسب.

_ ماذا تعني؟! (سألته بدهشة).

فأجابني:

_ أظننت حقًا أن طفلًا في الخامسة عشر من عمره قد أقام في الخارج كلّ تلك الفترة بعيدًا عن موطنه من أجل الدراسة فحسب؟!، يا لك من شخص ساذج أيها الملك..؟!

ثمَّ ضحك بسخرية، ومن ثم تابع حديثه قائلًا:

_ إنما كانت تلك هى خطة الجينرال بيلار لإبقاءك بعيًدا عن أنظار هيلين؛ والذى تمكَّن من إقناع الملك الرابع بها بطريقة أو بأخرى. كان هذا بعدما أخبره روبن عن محاولة هيلين قتلك آنذاك، إذ رآها وهي تضع لك السم في طعامك المفضل، أعني أنَّ أيّ طعام لديك هو مفضل بالطبع، أليس كذلك؟!

ثمَّ ضحك بسخرية مجددًا إلَّا أنني لم أغضب لهذا؛ فضلًا عن كوني لست الملك الحقيقى، فأنا أتفق معه تمامًا في الرأي.

استأنف سبانر حديثه قائلًا:

_ إن بيلار قد فعل هذا خوفًا من هيلين أن تكرِّر فعلتها مجددًا؛ وقد تنجح في هذا الآن بعد غياب روبن الذي نجحت فى إقصائه عن القصر بخدعة المجوهرات.

_ ولما أرادت هيلين أن تتخلَّص مني آنذاك؟ (سألته بلهفةٍ لتلقى الإجابة).

_ كي تضمن لوليدها أن يكون ملك المستقبل؛ فقد لا تُتاح له الفرصة لقتلك فيما بعد، أو لربما كانت تخطط لشيء آخر..!

أجابنى سبانر بمكرٍ شديدٍ، فسألته:

_ وما هو هذا الشيء؟!

فأجابني بابتسامةٍ باردة:

_ أن تتخلَّص من والدك أيضًا؛ وتتولى حكم الدولة بنفسها.

حينها أدركت من أين لمايكل كلّ تلك الوضاعة التي دفعته للتخلّص من أخيه وتولّي الحكم بدلًا منه.

فسألته:

_ وماذا بشأن روبن؟، لمَ أبقيت عليه كلّ ذلك الوقت؟

فأجاب على سؤالي بسخريةٍ:

_ أردت قتله بعد وفاة هيلين إذ لم يعد لدينا حاجة به، إلَّا أن مايكل لم يكتفى منه بعد؛ فقد ورث عن أمه لذة الانتقام التي جعلته يستمر في تعذيب روبن جراء إنقاذه لك فيما مضى، فلو أنَّه لم يفعل! لما تكبد مايكل كلّ هذا العناء في التخطيط لحكم روريتانيا.

_ ولمَ أرسلته إذا لكي يكشف لنا ما تخطط من أجله؟ (أنا سألته).

أجابني:

_ أرسلته فقط ليخبركم بما أردته أن يفعل، وقد أشار علي روبرت بفعل هذا إذ كان لديه هدف آخر يود الوصول إليه؛ ولذا فقد خطط لكي يسمح لروبن بالذهاب إلى سابت و إبلاغه عن خطتنا لاختطاف الملك.

_ ولما قد يفعل روبرت ذلك؟ (سألته)

فأجابني:

_ لأنه علم بأن سابت سيعيد استخدام حيلته القديمة مجدّدًا، ويرسل لإحضار ذلك الشبيه الذى يدعى رودولف راسندل؛ لكي يأتي إلى هنا ويساعده في حمايتك، وكان هذا تمامًا ما أراده روبرت أن يحدث؛ فهو يريد ذاك الشبيه لتصفية دينه القديم معه، وقد و افقت روبرت على فعل هذا إذ أن خطتنا لاختطافك باتت أسهل بكثير في غياب سابت، الذي علِمنا بأنه قد ذهب لإحضار شبيهك إلى هنا؛ وبهذا فقد حصل كلانا على ما يريد، فأنت هنا الآن في قبضتي، ولا شك أن شبيهك ذاك في روريتانيا يعيد تكرار الكرَّة من جديد بتأديته دور الملك، ولكنه لن يستمر طويلًا في هذا قبل وقوعه في يدّ روبرت.

في تلك اللحظة أدركت أن أملي الأخير في النجاة قد انقطع ومخططي للنجاة قد قلب ضدي؛ فأنا الآن هالك لا محالة إن أفصحت عن هويَّتي الحقيقيَّة، وأما كوني الملك فقد يمنحني هذا مدَّة أطول على قيد الحياة حتى حصولهم على توقيعه، وإلى ذلك الوقت.. آمل أن أجد فرصة للبقاء على قيد الحياة، رغم أنني لا أظن بإمكاني فعل هذا بعدما سمعته للتوّ.

_ آه.. يا إلهي! أنا ميّت على أيَّة حال..! (قلت في نفسي).

ثم أمر سبانر ذلك الحارس بإعادتي إلى الزنزانة مجدَّدًا، فهممت بالذهاب إلَّا أنَّه أوقفني بسؤاله لي:

_ كيف حال إصبعك الآن؟ أرجو أنَّه قد تحسَّن قليلًا.

_ وإن كنت تهتم لأمره هكذا فأرسل إذًا من يقوم بمعالجته بدلًا من ذاك الأهوج السمين. (قلتها)، ومن ثمَّ أعرضت عنه ورافقت الحارس إلى الزنزانة التي أضحت محل إقامتي الجديد..!

ظللت أفكِّر كثيرًا وأسترجع حديثي مع سبانر من بدايته؛ لأستنبط منه ما يدور في رأسه، أو _بالأحرى_ ما الذي ينتظرني بناءً عليه؛ فحلَّت بي لحظة صمت دار خلالها بذهني العديد من المواقف التي شهدتها طوال الستة أشهر الماضية قبل عودتي إلى روريتانيا، وما كنت لأظن بأنني سأقول مثل هذا قط يومًا ما، ولكنني اشتقت كثيرًا لكوب الحليب الذي إعتادت روز أن تعدّه لي في كلّ ليلة، فضحكت وأنا أقول في نفسي:

_ يا إلهي..! لايزال طعمه في فمي إلى الآن، عجبت لك يا نفسي.. (الصبار في يديك ورود إن انتزع منها).

(فلننتقل الآن إلى الأحداث الجارية بداخل القصر الملكي..)

كان الحال في القصر الملكي كما هو عليه منذ ليلة اختطافي، فلا يدري سابت كيف يمكنه العثور علي ! ولا يعلم كذلك عن المكان حيث يحتجزني سبانر. إلَّا أنَّه كان حريصًا كلّ الحرص على إخفاء هويَّة الملك رودولف؛ كي لا يتمكن أحدهم من كشف خطتنا، وكان هذا كل ما لديه ليفعله آنذاك؛ لكي يضمن سلامتنا. إلى أن وصل ذلك الفرد الجديد إلى القصر الملكى بحلول اليوم الثالث من ليلة اختطافي..

ففي ذلك اليوم تلقى فريتز من أحد حراس القصر الملكي إخطاريفيد بقدوم رجل ما إلى القصر يطلب مقابلة العقيد سابت ليبلغه بأمرٍ ما في غاية الأهمية، فتساءل

فريتز عن هوية هذا الرجل إلَّا أن الحارس أخبره بأنه يرفض الإدلاء بأيّ شيءٍ إلَّا في حضرة العقيد سابت على وجه الخصوص، ويقول بأن لديه ما يود سماعه..! (كما أوضح الحارس).

فأمره فريتز بالتحفُّظ عليه ريثما يعود، فذهب الحارس ثمَّ أسرع فريتز إلى الأعلى حيث كان سابت ينتظر مع الملك في غرفته وقصّ عليهما ما حدث؛ وعندها تساءل الملك عمن يكون ذلك الرجل!، فأجابه سابت:

_ لا أعلم بشأنه؛ ولكن آمل بأنه حقًا لديه ما أودُّ سماعه!

وعلى الفور أسرع سابت ومعه فريتز إلى الأسفل للقاء ذلك الرجل، فأمر سابت الحارس بأن يحضر إليهما ذلك الرجل في القبو أسفل القصر _حيث لم يرد أن يستمع أحد ما لحديثهما_ ثمَّ ذهب إلى الأسفل مع فريتز ينتظران وصول ذلك الرجل.

وما هي إلَّا بضع دقائق على الأكثر حتى خرج عليهما رجل طويل القامة في الخمسينيات من عمره، يرتدي ثيابا رثة، ويحمل فوق رأسه قبعة راعي البقر، لديه شارب طويل يتصل بلحية يتخلَّلها الكثير من الشعر الأبيض الكثيف؛ وقد اصطحبه الحارس حتى أوقفه في مواجهة العقيد سابت، وعندها همس فريتز في أذن سابت قائلًا:

_ أشكُّ في أمر ذلك الرجل؛ يبدو وكأنه مختل أو ما شابه.

فأجابه سابت:

_ انتظر قليلًا. لنرى ماذا لديه أولًا!

_ إذًا فأنت هو العقيد سابت أليس كذلك؟ (قاطعهما الرجل).

فأمر سابت الحارس بالذهاب، ثمَّ تابع الرجل حديثه:

_ أدعى ريك وأعمل مزارع، أمتلك قطعة أرض صغيرة نائية تقع في أواسط الغابات جنوب العاصمة بجوار نهر (راين)؛ حيث أقيم في كوخ صغير بمفردي، سمعت عنك كثيرًا وعن مدى إخلاصك للملك رودولف؛ لذا فقد أردت التحدُّث إليك بشأن ما شاهدته فى ليلة اختطافه.

_ وماذا لديك؟ (سأله فريتز).

فأجابه:

_ فى ذلك المساء ظللت أعمل حتى وقت متأخر من الليل، وعندما انتهيت أخلدت إلى النوم، ولكنني سمعت صوتًا غير مألوف بجوار الكوخ؛ فقمت أنظر من النافذة عن كثب، فإذ بي أجد مجموعة من الرجال يمتطون أحصنتهم ويرتدون خوذات معدنية تغطي ملامحهم ويتزعمهم رجل ما في المقدمة.

لفت انتباهي وجود رجل فاقد للوعي، ذو ثياب نظيفة ورسمية نوعًا ما تختلف عن ثياب الباقيين، كان ملقيًّا فوق ظهر أحد الخيول ويسحبه قائد المجموعة. فعلمت أن شيئًا ما غريب يحدث، ولكنني لم أجرؤ على فعل شيء، وكان من الأفضل لي ألَّا يشعر أحدهم بوجودي.

_ ولما استغرقت كلّ هذا الوقت لكي تأتي وتخبرنا بذلك؟! (سأل فريتز بعصبية).

ريك:

_ لم أخال الأمر بتلك الأهمية في البداية؛ فقد أكون مخطئًا فيما ظننت، إلَّا أنني علمت بأمر اختطاف الملك رودولف عندما أتيت إلى العاصمة فى يوم أمس لأبتاع

بعض الأغراض والأطعمة؛ وعندئذ قرَّرت المجيء إلى هنا على الفور لكي أخبر العقيد سابت بما رأيت.

_ هل تمكَّنت من رؤية وجه أحدهم؟ (سأل فريتز).

ريك:

_ لقد أخبرتك يا سيدي أنهم كانوا يرتدون الأقنعة؛ فلم أتمكن من رؤية أحدهم، وكان الليل حالك الظلام؛ فقد أشرفت الساعة حينها على بلوغ الثانية بعد منتصف الليل.

_ ولكنك بالطبع تعلم إلى أين كانت وجهتهم ! آمل ألَّا يكون الظلام قد منعك عن رؤية ذلك أيضًا..! (قال سابت بنبرة حادة)

ريك:

_ بلى.. أعلم أيُّها العقيد! فقد اتجهوا نحو جبل (شوستا) خلف النهر.

_ وفي أيّ جزء من الغابة قد كانوا عندما رأيتهم؟ (تساءل فريتز).

ريك: بالقرب من جسر (إيراسموس) حيث أقيم.

على الفور أمر سابت أحد جنوده بالإبقاء على السيد ريك في مكانٍ آمن لحين عودته، ثمَّ أسرع مع فريتز إلى غرفة الملك وقصَّ عليه كل ما حدث.

_ لكن ءأنت واثق من كلام هذا المُزارع؟ (الملك يسأل سابت).

فأجابه سابت:

_ ولو لم أكن كذلك أيُّها الملك!؛ فليس أمامنا خيار آخر.

_ نعم يا سيدي! أتفق تمامًا مع سابت؛ فقد مضى ثلاثة أيام حتى الآن على اختطاف راسندل ولا ندري ما يمكن أن يكون قد حدث معه، ولكننى لازلت أشك فى أمر ذلك المزارع، فيبدو أنَّه رجل ماكر وذكي جدًا، ألَّا يمكن أن تكون مكيدة ما؟!

علق فريتز، فعقب عليه سابت قائلًا:

_ لا أظن ذلك! إن كان حقًا ذكي؛ فمن المؤكد أنَّه يعلم جيّدًا بأنه لن يغادر هذا المكان حتى نتأكد من صحة ما أخبرنا به.

_ حسنا يا سابت، فلتعد إذا كافة الترتيبات اللازمة؛ فالملك سيأتي بنفسه لإنقاذ ابن عمه.. (تحدَّث الملك عن نفسه بثقة قبل أن يذهب مباشرة إلى غرفته).

والآن بات هناك مشكلة أخرى واجهها سابت؛ وهي كيف سيتمكن من تأمين الملك إن أصرَّ على الذهاب برفقة جنوده لإنقاذي؟!

ولذا فقد حاول منعه جاهدًا، ولكنه لم يتمكن من فعل هذا، وقد أجبره الملك على تنفيذ أوامره.

_ الآن سأضطر للقتال من أجل إنقاذ راسندل، وتوفير الحماية للملك في آن واحد..!

قالها سابت وهو يفكِّر بصوتٍ منخفضٍ وبدا مضطربًا كثيرًا لا يدري ماذا عليه أن يفعل!، وعندها همسَ فريتز فى أذنه قائلًا:

_ لا فائدة من التفكير الآن! علينا أن نسرع، فليس لدينا المزيد من الوقت لإهداره.

_ أعلم هذا جيدا! ولكن يجب أن أفكر بطريقةٍ ما؛ فقد أفسد الملك رودولف بقراره جميع مخططاتي. ماذا لو أصابه مكروه؟ ..فعندئذ ستضيع كافة جهودنا سدا.

قال سابت بعصبية، وحينها عرض عليه فريتز اقتراحه:

_ لا بأس، دعني أتولَّى حماية الملك، وحاول أنت أن تنقذ راسندل.

_ حسنًا.. لك هذا! ولكن استمع إلي جيّدًا يا فريتز.. مهما كلَّفك الأمر؛ فأنت لن تدع الملك بمفرده، هل هذا واضح؟

_ بالطبع لن أفعل! (عقب فريتز)

_ هذا جيّد. ولكن دعني أحاول معه للمرَّة الأخيرة؛ فقد أتمكن من إقناعه بالبقاء..! (قال سابت).

سابت:

_ "أيها الملك رودولف! لطالما كنت هناك من أجل حمايتك، وتفانيت في أداء واجبي تجاهك؛ لذا يتحتَّم علي أن أعلمك سيدي بأن حياتك ستكون في خطرٍ دامسٍ إن لزمتَ هذا القرار، فنحن لازلنا نجهل قوَّة من نواجهه، ولا ندري ما الذي يخطط من أجل تحقيقه !

فلا ينبغي عليك أن تفعل ذلك يا سيدي؛ لذا أنصح سيادتكم بالبقاء هنا، ودعني أتولى هذا الأمر بمفردي. فأنت بمأمن الآن، ويجب أن أبقى على سلامتك حتى نستعيد

رودولف ونتخلَّص من ذلك المجرم، وإلى أن نفعل ذلك، فيجب أن تبقى على نفسك بالداخل، ولا يعلم أحد ما بأمرك؛ فلا ندري ما الذي يمكن أن يحدث !".

فبدأ الملك رودولف حديثه قائلًا:

_ "استمع إلي جيدًا يا سابت! لقد صرت ملكًا على البلاد طوال ستة أشهر مضت، تعلَّمت خلالها أن هناك الكثير مما هو أهم من الصيد وتناول الطعام، وأظن بأنني أخطأت عندما و افقتك على إعادة راسندل إلى هنا مجدَّدًا، وتعريض حياته للخطر من أجل حمايتي. فقد ادَّعى بأنه الملك فيما مضى قبل ستة أشهر؛ إلَّا أنَّه قد صار ملكًا بحق وأدَّى جميع واجباته تجاه دولته على عكس ما أقوم به الآن؛ ولذا يتوجَّب علي مواجهة كلّ تلك المخاطر التي يواجهها هو نيابة عني في تلك اللحظة؛ وإلا فأخشى أن مايكل كان محقًّا و أنه كان أصلح مني لحكم البلاد، شئت أم أبيت أيُّها العقيد سابت، فسآتي لإنقاذ رودولف راسندل. هذا أمر أيُّها الجندي وعليك تنفيذه".

كان هذا آخر ما توقع سابت سماعه من الملك! إلَّا أنَّه أدرك بأن لم يعد هناك مفرّ من المجازفة؛ فقام بإعداد ما يكفيه من الجنود ممن يثق بهم و انتظر حلول المساء حتى كانت الساعة قرابة الحادية عشر..! عندها اصطف الجنود وامتطى الجميع أجودتهم؛ وفي المقدمة كان هناك سابت وفريتز يتوسطهم الملك رودولف الذي يحمل قناعًا على وجهه كما أشار عليه سابت بأن يفعل.

وعلى الفور أعطى سابت إشارته بالتحرُّك وسار بجنوده عبر الطريق الذي دلَّهم عليه السيد ريك وقد اصطحبه سابت برفقتهم.

(وعلى الجانب الآخر في وقر سبانر...)

لقد كنت هناك في تلك الزنزانة أبحث عن طريقي إلى الخارج..!

_ يا إلهي! لا أعتقد أنني سأغادر هذا المكان على قيد الحياة، آمل أن تنجح خطة ذاك الحارس الصغير إن اضطررت لاتباعها،، ليتني سألته عن خطة أفضل!

قلت و أنا أمازح نفسي، ولازلت أتفقد المكان هنا وهناك حتى شعرت بألم شديد في إصبعي؛ فبات يؤلمني كثيرًا الآن، وظننت بأن شخصًا ما سيأتي لمعالجته كما أخبرني سبانر بالأمس.. إلَّا إنَّه لم يفعل، تُرى لما أقدمت ديفيلن على فعل هذا؟!

وهنا خطر ببالي شيءٌ ما وتمنيت لو كان ما أفكِّر به صحيح، أيعقل أنها قد فعلت لكي تمنح نفسها المزيد من الوقت لتتحقَّق من صحة ما أخبرتها به !

لا شك أنني مُحق؛ فلو أنها لم تفعل لأجبرني سبانر على توقيع تلك الورقة، أظن أنها كانت تعلم بشأن خطوته التالية؛ ولذا فقد فكَّرت في إيقافه بتلك الطريقة.

حيلة جيِّدة منك أيَّتها الفتاة، ولكنها تكلفني الكثير من الألم. (علقت على هذا مع نفسي)

مضى ما يقارب الساعتين على الأكثر قبل انسدال السلاسل من فوق الباب الحديدي، فإذ به يفتح وتدخل منه ديفيلن مجدَّدًا.

لا أدري ما الذي قد أتت من أجله هذه المرَّة، فبدأت حديثي إليها بسؤالي:

_ والآن ماذا لديكِ؟! (سألتها بتوتر)

_ لا وقت لدينا لهذا! عليك أن تستمع جيّدًا لما سأقول، لقد تأكدت من صحة ما أخبرتني به بالأمس، وقد أرسلني سبانر إلى هنا لمعالجة إصبعك؛ لذا أرى بأنك لم تخبره بأنني من فعل هذا، صحيح؟!. (أجابت ديفيلن)

_ لا لم أفعل..! (قلت لها).

_ حسنًا هذا جيد، فقد بتنا فريق واحد الآن، وليس من الحكمة أن تخبره بشيء كهذا، علينا فقط أن نفكر بطريقة ما لإخراجك من هنا..! (علَّقت على إجابتي)

_ ولمَ تساعدينني في ذلك؟! (سألتها).

فأجابت:

_ لأنني بطريقة ما أو بأخرى كنت سببًا في إحضارك إلى هنا؛ فلو لم يتمكن ويليام من خداعي بالانضمام إليهم؛ لما كانت حاجتهم لاختطافك عندئذ.

فأردفتُ قائلًا:

_ حسنًا إذا، أخبريني عما أراده منكِ ويليام أن تفعلي؟ ولمَ كلّ هذا الغضب من سبانر على جرحٍ صغيرٍ في إصبعي؟ وماذا بشأن تلك الوثيقة التي كان يريدني أن أوقّعها؟

أجابتني قائلة:

_ سأخبرك بكل هذا في الوقت المناسب! والآن علي الذهاب؛ فلم يمنحني سبانر أكثر من دقيقتين لمعالجة إصبعك؛ وها أنا ذا قد انتهيت، ويجب أن أعود على الفور.

فقلت لها:

_ حسنًا! سأكون بانتظاركِ في المساء كي تمنحينَني جميع أجوبتي.

فقالت وقد همت مسرعة بالذهاب:

_ بالطبع سأفعل.

والآن فلم يبقَ بيني وبين معرفة الحقيقة سوى بضع ساعات معدودة !

أنتظرك أيها المساء بفارغ الصبر؛ لكي تأتي وتحمل إلي جميع أجوبتي.

لا أعلم كم تبقى من الوقت بعد، ولا أدري ما إن كان عقرب الساعة يدورأم لا..!!

آه يا إلهي! تلك الساعات كانت أطول مما توقعت؛ أكاد أشعر بمرور الدقيقة الواحدة مع هذا الانتظار الكبير.

ولكن مهلًا لحظة، ماذا بعد الحصول على تلك الإجابات؟! أنى يمكنني الاستفادة بها وراء تلك القضبان !

أرجو أن أعثر على طريقةٍ ما للخروج من هنا بعد حصولي عليها.

لا أدري كيف؟ ولكن مضت تلك الساعات المتبقية قبل حلول المساء، وها أنا ذا بانتظار ديفيلن لكي تأتي وتفي بوعدها إلي؛ إلَّا أن ما حدث لم يكن بالحسبان قط.

ففي مساء ذلك اليوم وصل سابت إلى وقر سبانر ويصحب معه العديد من الجنود، وفي تمام الساعة العاشرة انطلق صوت الرصاصة الأولى، لا أدري من أيّ سلاح قد خرجت؛ إلَّا أنها كانت بداية ملحمة كبيرة سقط بها العديد من حُرَّاس سبانر، وكذا الكثير من جنود سابت.

و أثناء هذه المعركة سمعت أكثر صوت ألفته أذناي خلال الفترة التي قضيتها في زنزانتي، ألَّا وهو صوت تلك السلاسل تنسدل من فوق القضبان؛ فإذ بالباب يفتح فتدخل منه ديفيلن مسرعة وتصطحبني معها إلى الخارج، ثم أعطتنى مخطوطة صغيرة وقالت لي:

_ تلك هي دليلك للخروج من هنا! والآن فلتسرع بالذهاب قبل أن يأتي أحدهم.

_ وماذا عنك؟! (سألتها بتعجب).

_ هذا ليس من شأنك! اذهب الآن وإلَّا أمسك بك الحرَّاس. (أجابت ديفيلن بأنفاس متقطعة؛ وكأنها كانت تركض لمسافة طويلة حتى وصلت إلى هنا).

وبالفعل خرجت مُسرعًا من تلك الزنزانة وسلكت الطريق الذي رسمته لي ديفيلن، فشعرت وكأنني أركض بداخل متاهة لا أدري أيّ طريق يقودني إلى باب الخروج؛ ولذا فقد حرصت على اتباع الخريطة في يدي..

أتجه إلى اليسار ثمَّ إلى اليسار ثمَّ إلى اليمين ومن ثمَّ أسلك المَمرّ الأخير نحو اليسار؛ لأعثر في نهايته على باب في الردهة السفلي، يقودني إلى الخارج لأجد نفسي في مواجهة الغابة.

التزمت بالخريطة وسرت تبعًا لها؛ إلَّا أنَّه قد اعترض طريقي شيء ما لم يكن جزءًا من الخطة ! إنَّه حارس قاده السرداب الذي نزل منه _فوق سلم ينتهي إلى ساحة كبيرة في الأعلى_ إلى حيث كنت هناك.

وما أن رآني حتى أشهر سيفه في وجهي وحاول الإمساك بى؛ لولا أننى قد عثرت بجواري على شعلة معدنية استخدمتها للدفاع عن نفسي، ودارت بيننا مناوشة لم تدم طويلا؛ إذ لم يكن الحارس بكامل قوته.

فقد كان يتنفس بصعوبة بالغة وسرعان ما سقط السيف من يده ففاجأته بضربة قوية على رأسه أفقدته الوعي، ومن ثمَّ تابعت السير فى طريقى إلى الخارج حتى وصلت فى نهايته إلى باب كبير موصدا؛ إلَّا أنني تمكنت من فتحه بواسطة ذاك المفتاح الذي أعطته لي ديفيلن مع الخريطة، وكان هذا بعد أن نجحت بسرقته من مكتب سبانر.

حينها وجدت نفسي بالخارج أمام تلك الغابة؛ فأسرعت للإحتماء بداخلها من تلك الطلقات المتبادلة، فركضت باتجاه صخرة كبيرة هناك تحيط بها أشجار ذات أفرع كثيفة متشابكة.

وصلت إلى الصخرة ثمَّ توقفت قليلًا ألتقط أنفاسي؛ إلَّا أنني شعرت بأنفاسٍ أخرى عالية تداخلت معي؛ فترقَّبت وجود شخص ما بالجوار يختبيء هناك بالخلف حيث يصدر ذلك الصوت.

نظرت على الأرض فوجدت قطعة صخرية صغيرة إلتقطها في يدى، وذهبت لألقي نظرة عمن يوجد بالخلف، فإذ بي أجد فريتز يجلس هناك ويتصبَّب عرقًا؛ فبدا وكأنه ينتظر قدوم شخصٍ ما!

فذهبت إليه على الفور؛ وقد شعر بخطواتى تتَّجه نحوه فالتفت إلي فزعًا! وما إن استدل على ملامحى حتى فرَّ من مكانه، وركض مهرولًا باتجاهى وهو يقول لي:

_ ءَأنت بخير أيُّها الملك..؟!

فأجبته:

_ ماذا بك يا فريتز؟! ألم تتعرَّف علي ! إنَّه أنا راسندل.

راسندل..؟! كيف استطعت الخروج من هناك؟! (سألنى بدهشة).

_ إنها قصة طويلة! سأخبرك بها فيما بعد، ولكن أخبرني.. هل الملك رودولف موجود هنا حقا؟! (سألته).

فأجابني:

_ نعم! ولكنني فقدت أثره؛ فقد ذهب منذ قليل وأمرنى بانتظاره هنا لحين عودته، وقال بأنه سيحاول إخراجك من هناك بنفسه، وساعده بعض الحرَّاس في التسلُّل إلى الداخل دون أن يشعر به أحدٌ ما.

_ يا إلهى! و أين هو سابت الآن؟ (سألته).

_ إنه هناك بين جنوده يقاتل رجال سبانر، ولكن إن كنت قد تمكنت من الخروج بمفردك؛ فأين هو الملك رودولف إذًا..؟! (تساءل فريتز).

حينها شيءٌ ما غريبٌ قد حدث..!

ففجأة يتوقف صوت إطلاق النيران من كلا الطرفين، ويخيم الصمت على الجميع. فاقتربنا أنا وفريتز نتفقَّد ما الأمر، وقد صرنا على مقربة من مقدمة الوقر؛ بالكاد استمعنا لصوتٍ ما يعلو قائلًا:

_ تراجع الآن أيُّها العقيد! وإلا فسأطلق النار على الملك رودولف.

_ يا إلهى..! هذا ما كنت أخشاه، يبدو أن الملك الحقيقي صار لديهم الآن.

_وماذا سنفعل؟! (سألنى فريتز بعصبية)

_ليس لدينا وقتا لنفكِّر! علينا أن نخبر سابت بأن يتراجع عن هجومه؛ وإلا فحياة الملك ستكون في خطر.

أجبته بصوتٍ منخفض قليلًا، فعقَّب عليَّ فريتز قائلًا:

_ ماذا تقول يا راسندل؟ هل تقصد بأننا سنترك الملك هنا..؟!

أجبته قائلًا:

_ لا تقلق، أنا أعلم جيدًا كيف نستعيده مجدَّدًا، ولكن عليك أن تفعل مثلما أقول.. اذهب الآن وحاول الوصول إلى سابت وأخبره بأن الملك يأمره بالتراجع؛ فتلك هي الطريقة الوحيدة لإيقافه.

لم يكن أمامنا خيار آخر آنذاك، وعلى الفور أسرع فريتز لإبلاغ سابت بما أخبرته به؛ وبالفعل بدأ سابت في التراجع برجاله إلى الخلف، فتمكَّن سبانر من استغلال الفرصة وهرب مصطحبًا معه الملك رودولف إلى حيث لا ندري إلى أين ذهب !

وكان آخر ما بقى لدينا هي تلك الآثار التي خلفوها وراءهم عند هروبهم؛ والتي تتبعناها إلى أن وصلنا في نهاية المطاف عند منتصف الطريق نحو جبل شوستا.

_ ما هذا، إلى أين ذهبوا؟! (تساءل فريتز بدهشة).

_ لابد وأنهم قد هربوا عبر ذلك النفق..! (أجابه سابت).

_ وإلى أين يقود؟ (سألته).

_ إلى خارج حدود الدولة.. (أجابني).

_ كيف تعلم ذلك؟!

كان هذا سؤالي الأخير لسابت قبل أن يعرض عنا ويعود إلى حيث أتى مصطحبًا معه جنوده، وقد منحني الجواب قائلًا بأن الجنرال بيلار هو من أخبره عن سرّ ذلك النفق منذ زمن بعيد.

وأوشك فريتز أن يخبرني عن صاحب هذا الاسم الذي سمعته للتو؛ قبل أن أقاطعه قائلا:

_ إنَّه والد سابت الذي كان يعمل حارسًا خاصًا لدى الملك رودولف الرابع. أليس كذلك؟!

_ بلى، ولكن أنى لك معرفة هذا؟ (تساءل فريتز).

فأجبته قائلًا:

_ لقد أخبرني عنه سبانر، والآن لم يبقَ فقط سوى القليل بعد لأعرفه من سابت عند وصولنا إلى روريتانيا

الفصل الرابع

"صِدام مع الماضي"

_ كيف تمكَّن سبانر من الإمساك بك؟، ألم أخبرك بما عليك أن تفعل؟! (صرخت ديفيلن بوجه الملك رودولف).

_ على رسلك يا آنسة..! هل تعرفينني؟! (تساءل الملك).

فتعجَّبت ديفلين، وتساءلت:

_ ماذا تقول أيها الملك ! هل تمازحني؟!

_ معذرةً يا آنسة! ولكنني لا أعرفك. (سأل الملك مجددًا).

فقالت ديفيلن بعصبية:

_ ما بك يا هذا؟ هل اصطدم رأسك بشيءٍ ما !! بالطبع أنت تعرفني جيّدًا، ومن الذي أرسلك إلى الخارج إذًا؟!

_ أوه نعم هكذا إذًا! لقد نجح راسندل في الهروب من هنا بمساعدة تلك الفتاة، وإن كان استنتاجي صحيحا؛ فأظن أن بإمكاني الوثوق بها. (قال الملك في نفسه).

بماذا تفكِّر؟! (تساءلت ديفيلن).

_ لا. لا شيء! فقط شردت قليلًا. (أجاب الملك بتوتر)

ثم تابع: معذرةً منك يا آنسة! أنتِ مُحقَّة فيما تقولين؛ فقد اصطدمت في طريقي إلى الخارج بحائط وسقطت فاقدًا للوعي، ثمَّ عثر علي رجال سبانر وأعادوني إلى هنا مجدَّدًا. ءأسف كثيرا على هذا، ولكن أعدكِ بألَّا يعلم أحدهم بمساعدتكِ لي؛ لا تقلقى بشأن هذا. (أجابها الملك).

_ حسنًا. هذا جيِّد! فلتسترح قليلًا الآن، وسأعود إليك لاحقًا لنرى ماذا سنفعل! (أجابت ديفيلن).

_ ألا يمكنكِ الانتظار معي قليلًا..؟! (الملك يطلب من ديفلين).

_ معذرةً..!! (تساءلت بدهشة).

فأجابها بتوتُّر:

_ لا. لا شيء! فقط أردت التحدُّث إليكِ لبعض الوقت.

_ ليس الآن! سبانر يشكّ في أمرنا جميعا، ولكنه لم يعلم بعد بمحاولتك الهروب من هنا، فقد سمعت ذلك الحارس الذي تقاتلت معه في طريقك إلى الخارج يخبر روبرت بأنك لست في زنزانتك، ولكنهم سرعان ما عثروا عليك بعدها ملقى على الأرض في الساحة العلوية.

أجابت ديفلين، وسرعان ما استطرد لذهنها سؤال ألقته على الملك:

_ ولكن أخبرني.. كيف وصلت إلى هناك؟! فقد رسمت لك الطريق إلى الخارج، ولم أخبرك قط بأن تذهب إلى الأعلى.

عندئذ صمت الملك قليلًا، ثمَّ أجابها بحذر:

أظن أنني قد ضللت الطريق! أعتذر كثيرًا على هذا.

فقالت ديفيلن:

_ حسنًا! سأذهب الآن.

سأكون بانتظارك في صباح الغد. (أجابها الملك).

_حسنا. (عقبت ديفيلن)

(وأما على الصعيد الآخر..)

فقد وصلنا إلى القصر الملكي في تلك الليلة قرابة الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل.

_ ما هذا؟ أين صورة الملك رودولف الرابع؟!

سؤال ألقيته على فريتز فور دخولي إلى القصر من الوجهة الأمامية؛ عندما رأيت تلك الصورة الكبيرة للملك رودولف التي استبدلت بصورة والده الراحل؛ فلم يتسنى لي رؤيتها في المرَّة السابقة عندما دخلت مع سابت عبر الباب الخلفي.

فأجابني فريتز:

_ إنَّه تقليد قديم اعتاد عليه ملوك دولة روريتانيا منذ أمدٍ بعيد؛ فقد خصصوا هذا المكان لكي توضع به صورة الملك الراهن للدولة؛ على أن يتم نقل صورة من سبقه إلى حيث تعلق هناك بجوار صور بقيَّة الملوك على جدار خاص بهم في غرفة تضم عدد كبير من صور أفراد العائلة الملكية.

_ هذا رائع، إنه تقليد جميل للغاية..! (علَّقت على حديثه).

_ حسنًا! سأذهب الآن، وسأعود إليك في الصباح الباكر. (قال فريتز).

_ إلى أين تذهب؟ (سألته).

أجابني:

_ سأتولى إنجاز بعض الأعمال التي كلفني بها سابت قبل حلول الصباح.

فلتذهب إلى غرفة الملك وتنل قسطًا من الراحة ريثما أعود؛ فلدينا الكثير في يوم غد لنقوم به.

عندها أعرض عني فريتز ثم ذهبت إلى غرفتي _أي غرفة الملك _ فكانت ليلة حالكة الظلام، وقد كنت منهكًا من شدَّة التعب؛ فاستلقيت على السرير واستغرقت في سباتٍ عميق.

راودني في تلك الليلة كابوس مخيف؛ رأيت به وحش كبير عملاق تصدر من عينيه شرارة تنبعث منها أضوية زرقاء مرعبة؛ كتلك التي يصدرها شعاع البرق، ويفتح فمهُ تأهبًا لالتقاطي بينما كنت أركض مسرعًا.

رأيت أمامي قصر الملك فحاولت الوصول إليه جاهدًا بكلّ ما أوتيت من قوَّة، وقد أوشك الوحش على التمكُّن مني لو لم أقفز بقوَّة مبتعداً عنه إلى داخل بوابة القصر، وأثناء ذلك استيقظت فزعًا من نومي على ضوء شعاع الشمس يضرب في وجهي؛ وكأنني قضيت ليلة بأكملها في هذا الكابوس المخيف..!

يا إلهي..! يا له من حلم غريب! (علقت على هذا الكابوس)، ومن ثم قمت أنظر من النافذة لأطلّ على منظرٍ رائعٍ لم أشهده منذ وقتٍ طويل، وقد قلت في نفسي:

_ كم تمنَّيت لو أشهدك مجددًا..!

استمريت في الاستمتاع بمشاهدة أركان تلك المملكة العظيمة التي صرت ملكًا عليها للمرَّة الثانية؛ إلى أن قطع هذا المشهد صوت طرق على باب الغرفة تبعه صوت يطلب الإذن بالدخول؛ فأذنت له.

وإذا به الخادم قد أتى ليبلغني بوصول العقيد سابت بالأسفل، وهو الآن بانتظاري في الصالة الكبيرة على عجلةٍ من أمره. فأخبرت الخادم أن يبلغه بأن الملك سيأتي إليه على الفور.

انصرف الخادم ثمَّ ذهبت للاستحمام لكي أتخلَّص من إرهاق الليلة السابقة؛ ومن ثمَّ خرجت أبدل ثيابي وأرتدي ثياب الملك التي بدأت أعاني مجددًا من كيفية ارتدائها؛ فقد نسيت تماما كيف أتعامل مع كلّ تلك الميداليات الكبيرة التي تزيّنها، ولكنني حاولت ذلك جاهدا، واستعددت جيّدًا للذهاب للحصول على بعض المتاعب الملكية.

خرجت من الغرفة وتوجهت إلى الأسفل نحو الصالة الكبيرة، إلَّا أنني وجدت سابت يسرع باتجاهي، ويقول لي:

_ ما كل هذا التأخير..؟! ليس لدينا وقتا نضيّعه؛ ثمَّ أخذ بيدي يجرني معه إلى الأسفل. من الجيّد أن أحدًا من الخدم لم يرَ ذلك المشهد، ولا شكَّ أن سابت كان حريصًا أيضًا مع كل تلك النظرات التي طاف بها حول القصر حتى خروجنا منه؛ حيث وجدنا فريتز بانتظارنا في الخارج في سيارة الملك.

وقد أمر فريتز السائق (بوستن) بالذهاب ليتولى القيادة بنفسه، وعلى الفور أسرعت مع سابت إلى المقعد الخلفي و انطلق بنا فريتز إلى حيث لا أدري !

فكرت كثيرًا خلال الطريق أن أسأل سابت إلى أين نتَّجه؟ ولكنني لحظت كم كان هناك الكثير من التوتُّر جليًّا على وجهه، فأعرضت عن سؤاله وفضَّلت التزام الصمت حتى نصل إلى وجهتنا، ومن ثم سأعرف كلّ شيءٍ بنفسي.

(تبدأ خطتنا التالية في الغابة القريبة من الجسر القديم خلف قصر الملك..)

_ كيف يعقل أن هذا قد حدث؟! (سألني سابت بعصبية).

_ هذا ما كنت أحاول أن أخبرك به، فقد ساعدتني فتاة شابة على الخروج من هناك قبل دخول الملك بقليل، ولكن يبدو أنهم أمسكوا به قبل أن يتمكَّن من الخروج مجدَّدًا.

أجبت على سؤال سابت، ومن ثمَّ سألنى فريتز قائلًا:

_ ومن تكون تلك الفتاة؟!

_ لا أعلم سوى اسمها فقط؛ فهي تدعى ديفيلن، ولكن لم يكن لدينا الوقت الكافي لكي تخبرني بالمزيد. (أجبته).

_ مهلًا لحظة..! أقلت أنها ديفيلن؟

سألني سابت بطريقة غريبة لم أعتد عليها من قبل !

فسألته.. ما إن كان يعرفها؟!

فأجابني قائلًا:

_ بالطبع أعرفها جيّدًا! إذا هذا ما كان يسعى وراءه سبانر منذ البداية.

_ يبدو أن لديك ما تخبرني به، أليس كذلك؟! (قلت لسابت).

ثمَّ سألته:

_ألدى ديفيلن علاقة بالملك رودولف؟

فأجابني:

_لا ليس تمامًا!، ولكنها الأخت غير الشقيقة لمايكل.

_ ماذا..؟! (سأل فريتز متعجبًا).

فأدركت بأنه كذلك لم يكن يعلم بأمرها من قبل.

_ولكننى لا أستطيع أن أفهم.. كيف تمكن سبانر من العثور عليها؟! فقد حاول الجينرال أن يفعل من قبل؛ ولكنه لم يتمكن من إيجادها! (عقب سابت).

فسألته:

_ وهل كان والدك على علم بذلك الأمر؟

فكانت إجابته لى موجزة للغاية.. (نعم لقد كان !)

_ معذرةً من الجميع..! أنا لا أفهم عن أى شئ تتحدثون!! هل بإمكان أحدكم أن يخبرني بتفاصيل ما يجري هنا؟ (مقاطعة من فريتز).

فقال له سابت:

_ إنَّه أمر يتعلق بتاريخ روريتانيا!، ويبدو أنَّه الوقت المناسب لكي أطلعكم عليه..

لقد تزوج الملك الراحل من السيدة هيلين منذ زمن بعيد؛ عندما سافر إلى خارج البلدة لحضور احتفال رسمي مع ملك دولة أخرى تدعى (ميلافيسكي)، وشاركه الملك في حضور مؤتمر هام. فصادف وجوده في ذاك المؤتمر السيدة (هيلين سي كراول) للمرَّة الأولى _إذ كانت برفقة شقيقها الأصغر السيد ويليام_ وقد أعجب بها الملك كثيرًا آنذاك.

فلم يمضِ الكثير من الوقت عقب تلك المقابلة حتى تقرَّبت منه هيلين إلى حدٍّ كبير؛ وبطريقة ما أو بأخرى أعلن الملك رودولف زواجه منها في احتفالٍ رسميّ أقامه في اليوم التالي فور عودته إلى روريتانيا برفقتها.

وقد تمَّ زواجهما بسرعة تعجَّب لها جميع سكان البلدة؛ إلَّا أن أحدهم لم يعارض هذا الأمر، وسرعان ما تقبَّله الجميع بحفاوة بالغة؛ إذ كان الملك الرابع يتمتع بشعبية كبيرة، ولم يعانِ قط من انقسام شعبه لأحزاب متضاربة الآراء.

وجرت الأمور على ما يرام لأمدٍ ليس ببعيد؛ قبل أن يلحظ الملك كذلك سرعة تقربه من هيلين، وقد أدرك أن ما يعرفه عنها لم يكن كافيًا بالدرجة التي تجعله يُقدم على الزواج منها.

إلا أن هيلين لم تُظهر أيّ نوايا سيئة خلال تلك الفترة؛ لذا فلم يدم ذاك الشعور طويلًا لدى الملك. لاسيما أنَّه قد أحبها كثيرًا؛ فسرعان ما أعرض عن هذا وحظى معها بحياة طبيعية هادئة.

حتى حلول ذلك اليوم بعد مُضيّ ثلاثة أعوام من زواجهما..

عندما أتى لزيارة الجينرال هيكس أحد معارفه من دولة (ميلافيسكي) وهو القائد (راوني)؛ الذي سرعان ما تعرف إلى ديفيلن فور رؤيته لها، وقد أخبر الجينرال بأنها كانت متزوجة فيما مضى من صديقه الذي يدعى دكتور(ويستون كونور).

وأخبره راونى أنه قد علم في آخر لقاء دار بينه وبين صديقه ويستون أنَّه حظى بمولوده الأول منذ وقت قريب؛ وهي فتاة جميلة يذكر بأن اسمها كان (ديفيلن)، وأنها لم تتجاوز من العمر ستة أشهر بعد.

وأخبره كذلك بأن ويستون قد تعرَّض لاحقًا لحادث مؤسف بسيارته أودى بحياته بعد هذا اللقاء بعام واحد على الأكثر! و أنه حاول كثيرا خلال هذا العام أن يلتقي به مرَّات عدَّة ولكنه لم يستطع؛ إلى أن أدرك فيما بعد أن ويستون كان يعاني من ضغط نفسي كبير قبل موته إثر تعرضه لأزمة مالية حادة أطاحت بجميع شراكاته وأعماله.

_ هكذا إذًا..؟! لقد أخفت هيلين حقيقة ابنتها الوحيدة من أجل الحفاظ على كونها زوجة لملك روريتانيا، أليس كذلك؟، يا لها من إمرأة وضيعة، كيف أمكنها أن تفعل؟! (مقاطعة من فريتز).

_ لا فائدة من هذا الآن! علينا أن نفكّر في طريقة ما لإعادة الملك إلى دولته.

عقب سابت؛ فأجبته قائلًا:

_ لا عليك! فإن حالفنا الحظ؛ فلن نضطر للتفكير في طريقةٍ ما.

_ ماذا تعني؟! (سأل فريتز متعجبًا)

أجبته:

_ أعني أن ديفيلن ستتولى هذا الأمر، وستعيد الملك إلى هنا بنفسها! فقد ساعدتني كثيرًا ووثقت بي، إلَّا أنني لم أخبرها بحقيقتي؛ فلم أعتد الوثوق بأحد ما لتلك الدرجة.

_ ولكن الملك قد يفعل! فهو ليس مدربا على التعامل مع مثل تلك الظروف؛ لأنه ليس عسكريًا مثلنا..! (رجح فريتز).

هنا تذكّرت ما أخبرته به عندما التقيته وسابت للمرَّة الأولى؛ فقد أخبرته بأنني كنت فردًا في جيش الملكة، ويبدو أنَّه لازال يخالني كذلك إلى الآن!

_لا بأس بهذا! والآن علينا أن أفكر بطريقة تمكنني من الوصول إلى ديفيلن؛ فهى أملنا الوحيد لإنقاذ الملك..! (قلت لهما).

_ وكيف سنصل إليها إذًا؟ (سألني فريتز).

_ لن نكون بحاجة ذلك إن أدلى لها الملك بحقيقة ما يجري! فعندها هي من سيعثر علينا، وليس العكس. أنا متأكد بأنها ستفعل، وستساعدنا لإنقاذه..! (أجبته).

_ ولكنني أخشى أن لدينا مشكلة أخرى؛ فقد تلقيت فور وصولنا إلى هنا خطابًا من شخصٍ ما يدعى (جينفير)؛ يقول بأنه صديق مقرَّب لدى الملك رودولف، و أنه سيصل إلى روريتانيا غدًا في تمام الساعة السادسة مساءً.

قال فريتز، ومن ثم تسلم منه سابت الحديث واستكمل شرح ما يرمي إليه فريتز قائلًا:

_ ولذا فيتوجب على الملك أن يكون بانتظاره ليستقبله!

_ لا أظنها فكرة جيدة..! (أوضحت لهما).

فقاطعني سابت:

_ أعلم بماذا تفكّر! فأنا أيضًا لا أدري إلى أى مدى كان الإتصال بين جينفير والملك، وإلى أيّ درجة كانت صداقتهم !

_ لذا فلن يكون من السهل عليك التظاهر بكونك الملك في حضوره! (عقب فريتز).

_ بالطبع لن يكون كذلك! (أجبته بتوتر)

_ أخشى أن غدًا يصحبه مأزق جديد لنا!

أدلى فريتز بما ظنناه جميعنا آنذاك، ثمَّ استأنف الحديث بسؤاله:

_ حسنًا، والآن ماذا سنفعل؟

عندها بدأنا جميعنا نفكّر في طريقةٍ ما للخروج من هذا المأزق، وبتنا نسير فى مسار دائري حول بعضنا البعض لا ندري ما العمل ! وأنَّى يمكننا التعامل مع مثل هذا الموقف الحرج !!

_ مهلًا لحظة! أظن لديّ خطة جيدة..! (قال سابت).

_ وما هي؟! (تساءل فريتز).

أجابه سابت:

_ لقد أوضح سبانر بأن روبرت هو من خطَّط لكل هذا منذ البداية؛ فقط لأنه يود الانتقام من راسندل. أليس كذلك؟، لذا فإن علم بأمر عودته فسيحاول بالتأكيد اختطافه؛ تمامًا كما فعل مع الملك.

_ هذا غير صحيح ! فلا أظنه غبيا بتلك الدرجة لكي يأتي إلى قصر الملك ويختطفه مجددًا. (ردَّ فريتز).

_ ولكنني أدرك بأنه متهور بدرجة كافيه تجعله يقدم على فعل هذا، وخلال ذلك.. أرجو أن نتمكن من القبض عليه. (عقبت عليهما).

_ إذًا ما هي خطتك لاستدراجه؟ (فريتز يسأل سابت).

_ أظن أن الوقت قد حان لإقامة حفل كبير احتفالا بسلامة ملك روريتانيا!

أجاب سابت، ثم عقَّب عليه فريتز قائلًا:

_ حسنا. أظنها محاولة جيدة! فليس لدينا ما نخسره، وقد بات الملك لديهم الآن. فلنرحب إذًا بعودتك رسميًا يا شريكي، مرحبًا بعودتك أيُّها الملك ! (توجه فريتز بحديثه إلي)

وها قد انتهينا من إعداد خطتنا لاستدراج روبرت، ونحن الآن في طريق عودتنا إلى القصر؛ إلَّا أن خطتي الحقيقية كانت لا تزال في مرحلة الإعداد..!

وصلنا إلى القصر فطلب مني سابت النزول من السيارة والذهاب إلى المكتب الملكي أنتظرهم هناك؛ إلى أن ينتهوا من إعداد كافة الترتيبات اللازمة لإقامة الحفل.

ثمَّ انطلق كلاهما مسرعَا إلى حيث لم أدرِ بالتحديد إلى أين كانت وجهتهم ! ولكنني ظننت أنَّه الوقت المناسب لتنفيذ خطَّتي الخاصة.

على الفور دخلت إلى غرفة الملك لكي أبدِّل ثيابي، ومن ثم ارتديت ملابس أنيقة على طريقتي الخاصة، و انطلقت مسرعًا إلى حيث كانت وجهتي منذ البداية..! صوب قصر الأميرة فلافيا.

يا إلهي. كم أشتاق لرؤيتها بعد مرور كلّ تلك الأشهر! (قلت في نفسي)

وها أنا ذا صرت مستعدًا للذهاب! فغادرت القصر بعد أن تركت رسالتي إلى سابت مع أحد الحرَّاس وأخبرته بأن يبلغه إياها فور وصوله؛ ومن ثمَّ انطلقت في طريقي نحو الوجهة المنشودة.

(لاحقًا بعد مغادرتي بقليل يتبع وصول سابت إلى القصر..!)

_ أين هو الملك؟! (سابت يسأل حارس القصر)

فأجابه الحارس قائلًا:

_ لقد غادر منذ قليل في سيارته برفقة السائق (بوزلي)، وأمرني بإبلاغ سيادتكم أن تنتظره ريثما يعود، وقال بأنه لن يتأخر كثيرًا.

_ترى إلى أين ذهبت يا راسندل؟، كم من الملوك بعد علي أن أتولى حمايتهم؟ (قال سابت في نفسه بعصبية).

وبينما أنا الآن في طريقي إلى قصر الأميرة فلافيا _حيث المكان الذي أفضِّل التواجد به كثيرا_ فقد لوَّحت بيدي كثيرًا لإلقاء التحية على الأشخاص الذين صادفتهم من

شعب روريتانيا بمختلف أعمارهم صغيرًا وكبيرًا؛ ولم أكد أرح يدى قليلًا حتى أعود وأرفعها مجدَّدًا، وكذا فقد تلقيت العديد من الهتافات، وسمعت أصوات الجميع تعلو بصيحات الفرح فى صخب وسعادة.

إذ اتضح لى مما علق به السائق بوزلى على هذا المشهد..! بأن فريتز قد أبلغ الحراس أن العقيد سابت كان فى مهمته للتخلص من أولئك الأشخاص الذين افتعلوا الحريق فى البلدة وقاموا بالهجوم على قصر الملك؛ ولذا فسيقام احتفال ملكى بالقصر فى مساء يوم غد.

وقد تعجبت لهذا كثيرا؛ فكم كان فريتز سريعا فى تنفيذ خطتنا !

لم يمضى الكثير من الوقت بعدها قبل أن أصل إلى مقصدي المنشود؛ فأوصلني الخدم إلى غرفة الاستقبال وأحضروا لي كوبًا من القهوة.

ولم يدم انتظاري طويلًا حتى وصول الأميرة فلافيا؛ التي لم تستغرق أكثر من بضع دقائق لكي تأتي إلي، ولكنها بدت وكأنها تعاني كثيرًا من الإرهاق.

فنهضت لألقي عليها التحية الملكية وقبلت يدها، ثمَّ بدأت حديثي إليها بسؤالي:

_ ماذا بك أيَّتها الأميرة؟، هل أنتِ بخير؟

فنظرت إلي بطريقة غريبة، وقالت لي:

_ أنت كذلك تبدو مختلفًا قليلًا!

فضحكت، وقلت لها:

_ لقد نمت جيدًا في ليلة أمس، ولكن يبدو أن أحدهم لم يفعل!

فقالت لي بحدَّة:

_ كيف أمكنك أن تفعل وشخصٌ ما قد عرَّض حياته للخطر من أجلك؟

عندئذ أخفيت ابتسامتي ولم أعقب، فتابعت قائلة:

_ أنسيت أن حياة أحدهم مرهونة أمام حياتك؟!

فحاولت أن أقلِّل من توتّرها بأن قلت لها:

_ لم ننفك نحاول الوصول إلى راسندل، وسنصل إليه عمَّا قريب!

_ أرجو أن تفعل قبل أن يروح ضحيَّة لك..! (علقت الأميرة بتوتر).

عندئذ شعرتُ باضطراب مشاعرها بين الحزن والغضب، ولن أنكر بأنني كنت مسرورًا لهذا كثيرًا؛ فلم أخالها تهتم لأمري هكذا قط..!

فتابعت حديثي إليها، وقد فكَّرت أنَّه الوقت المناسب لكي أسألها:

_ لمَ أنتِ غاضبة هكذا أيَّتها الأميرة؟، ولمَ تهتمين كثيرا لحياة رودولف راسندل؟؟ فأنا ابن عمك وليس هو. ألا تذكرين ذلك؟!

فأجابتني مستنكرةً:

_ أنت ملك لدولتك وحمايتها واجب عليك! إلَّا أنك قد سمحت له بالتدخل وتعريض حياته للخطر من أجلك.

فإن كنت لا تقوى على حماية دولتك يا سيدي؛ فلا ينبغي على أحدهم أن يفعل من أجلك، فحياة الملوك ليست بأهم ممن سواها. ألَّا ترى ذلك؟!

ولم أكد أجيبها حتى أعرضت عني قائلة:

_ معذرة أيها الملك..! فلم أنم جيِّدًا في ليلة أمس، وأود أن آخذ قسطًا من الراحة، ومن ثمَّ أعرضت عني وذهبت مسرعة إلى الأعلى وهى تبكى.

لم أستطع منع ابتسامتي العريضة تلك عن الظهور، وقد شعرت بفرحة كبيرة تغمرني، فقلت في نفسي:

_ من الجيِّد أن راسندل هو من استمع لهذا الحديث؛ وليس ألفبرج!

أودّ لو أستطيع إخبارها بحقيقتي!، ولكن ليس الآن. ليس قبل أن أتأكد مما أفكّر به أولًا، وأما الآن فقد حان الوقت لكي أعود إلى القصر.

أسرعت إلى السيارة وأمرت السائق بالانطلاق على الفور، ولم يمضِ الكثير من الوقت حتى وصلنا؛ فوجدت سابت بانتظاري تعلو وجهه علامات القلق والارتياب. فتقدَّمت نحوه وقد تقدَّم هو الآخر باتجاهي إلى أن التقينا في منتصف المسافة بيننا، وقبل أن يسألني قاطعته بإجابتي:

_ لقد كنت أتجوَّل في أرجاء البلدة؛ فقد شعرت قليلًا بالضجر وفكَّرت في التنزُّه لبعض الوقت.

فأردفَ سابت:

_ حسنًا. ولكن أخبرني في المرَّة القادمة من فضلك؛ فقد أودُّ الذهاب معك للتنزه سويًا في قصر الأميرة فلافيا. أليس كذلك؟

يا إلهى. كيف علم بأننى كنت هناك ! (تسائلت فى نفسى).

شعرت كثيرا بالإحراج، ولم أدرِ أنَّى يمكنني تبرير هذا !! فتابع سابت حديثه إلى بقدوم أحد الحرَّاس إلى حيث كنا نقف:

_ تفضَّل الآن يا سيدي! فلدينا عمل هام نقوم به.

لقد بدأت بالفعل في تنفيذ خطتنا، وأعددت كافة التحضيرات اللازمة لإقامة الحفل في مساء يوم غد، وقد أعلنت الخبر للجميع على أن يقام الحفل في تمام الساعة السادسة مساءً بحضور السيد جينيفر إلى هنا؛ فيمكنك بذلك التعامل معه بشيء من الرسمية فى وجود الحاضرين إلى الحفل. (شرح لى سابت خطته)

_ حسنا. كل شئ يسير على ما يرام إلى الآن! وآمل أنه كذلك إلى أن تنجح خطتنا. (قاطعنا فريتز مع وصوله إلى القصر).

(والآن فلننتقل إلى الجانب الآخر من قصتنا لدى سبانر؛ حيث كان اللقاء الثاني بين ديفيلن والملك قائمًا، ويدور بينهما الحوار التالي..)

شعر الملك أنَّ صار باستطاعته الوثوق بديفيلن؛ ولذا فقد قرَّر أن يخبرها بحقيقة الأمر، فقال لها:

_ استمعي إلي جيّدًا يا آنسة! فهناك أمر هام أود إخبارك به.

_ ماذا هناك؟! (تساءلت ديفيلن)

فأجاب الملك:

_ من ساعدتيه على الهروب بالأمس لم يكن هو الملك الحقيقي؛ بل كان شبيهه الأجنبي ويدعى رودولف راسندل، وأما الملك الحقيقي فهو من يقف أمامكِ الآن.

عندئذ نظرت إليه ديفلين، وأطالت النظر إليه في دهشة وتساءلت:

_ ما الذي تقوله! أرى بأنك قد صرت كثير المزاح. معذرةً أيّها الملك! فلا وقت لديّ لهذا الهراء.

قالت ديفيلن، وقد أوشكت على الذهاب قبل أن يمنعها الملك قائلا:

_ عليك أن تصدقيني فما أخبركِ به هو الحقيقة؛ لست أنا ذلك الشخص الذي ساعدتيه على الهروب بالأمس. ألَا ترين ذلك؟!

عندئذ استدارت ديفيلن وأعادت النظر إليه بتلك الحدَّة مجددًا، ثمَّ انتقلت بناظريها إلى إبهامه الأيمن؛ فلم تجد تلك الضمادات التي سبق وأن وضعتها على إصبعي بعدما أصابته، وحينها تأكدت من صدق ما يخبرها به الملك، فسألته:

_ كيف حدث هذا؟!!، وإن تمكَّن راسندل من الفرار بالأمس، فما الذي أتى بك إلى هنا إذًا؟!

فأجابها الملك:

_ إنها قصة طويلة! سأقصها عليكِ فيما بعد، وأما الآن فيجب أن تصدقي ما أقوله لك.

_ إذًا راسندل هو من كان محتجزًا هنا كلّ ذلك الوقت، ولكن لمَ لم يخبرني بذلك؟

عقَّبت ديفيلن، فأجابها الملك:

_ لأنه لم يعتد الوثوق بأحدٍ ما؛ فلم يكن ليفعل ذلك قط!

_ ولما فعلت أنت إذًا؟! (تساءلت ديفيلن).

_ لأنني أثق بكِ! وأعلم بأنكِ ستساعدينني تمامًا كما فعلتي معه بالأمس. (أجابها الملك).

_ لم يعد بإمكاني المساعدة الآن! فقد أعطى سبانر أوامره بأن أحدًا لن يغادر هذا المكان إلى أن ينتهي من تنفيذ خطته، ولا زال يشكّ في أمر الجميع؛ فلا يعلم كيف علمتم بمكان اختبائه!

عقَّب الملك:

_ ولكن لابد من وجود طريقة ما!، ثم تابع: فثمة طريق ما دائمًا للوصول؛ ولكنه بإنتظار من يبحث عنه جيدًا ليعثر عليه.

_ ولكن كيف؟! (تساءلت ديفيلن).

_ لا أعلم ذلك بعد، ولكن آمل بأن أفعل عما قريب..! (أجابها الملك).

استغرق الأمر الكثير من التفكير ولكن دون جدوى؛ فقد أعدَّ سبانر خطة محكمة تضمن بقاء الجميع تحت أنظاره، وهنا استطرد لذهن الملك سؤال ألقاه على ديفيلن عندما علم بمحض المصادفة عن العلاقة التي تربط بينها وبين ويليام؛ فقال لها:

_ ولمَ لا يساعدنا عمك إذًا؟

_ ما كان ليفعل ذلك قط! إنما هو السبب الوحيد لوجود كلانا في هذا المكان؛ فلولاه لما كنت هنا الآن، ولما كانت حاجتهم لاختطافك عندئذ. (أوضحت ديفيلن)

ثمَّ تابعت ديفيلن حديثها إلى الملك عن بعض من أجزاء حياتها برفقة ويليام عندما كانا بالخارج؛ ثم حدثته عن والدتها وقالت:

_ لطالما أخبرني أنها و أبي توفيا في حادث سيارة، ولكنه كان يتجنب التحدث إلي بشأنهما ويغضب كثيرًا ما أن أستمر بسؤالي عنهما. إلَّا أنَّه منذ بضعة أشهر قد بدأ يحدثني عن أشياء لم يخبرني بها من قبل، وادَّعى بأنه لم يفعل من أجل حمايتي.

فمنذ وقت قريب مضى عندما أخبرته بأنني أنوي زيارة إنجلترا لألتقي بصديقة قديمة لي بدا مسرورًا للغاية لسماع هذا ! و اقترح بأن يصحبني في رحلتي، و أنه سيتفرغ من كافة أعماله من أجلي.

لم أدرِ ما السبب حينها !؛ إلَّا أنني علمته فيما بعد عندما اكتشفت أنَّه كان يخطط منذ البداية لإحضاري إلى هنا لكي أساعدهم في تنفيذ خطتهم.

ولذا فقد اعتقد أن الحظ حالفه بقراري المجيء إلى فرنسا أولًا؛ ومن ثم أنطلق منها مباشرة إلى إنجلترا. ولكنه كان يخطط لشيء آخر؛ فقد خدعني بادِّعائه الكاذب أننا سنذهب أولًا لزيارة صديق له في روريتانيا، ومن ثمَّ نمضي قدمًا في طريقنا إلى حيث أودّ الذهاب..!

وكان هذا قبل سفرنا بيوم واحد..

عندما تلقى ويليام رسالة من شخصٍ ما يخبره بأن الملك رودولف الخامس قد تآمر على قتل أخي مايكل منذ ستة أشهر؛ كي لا ينافسه على حكم روريتانيا. فأخبرنى بذلك لكى يعزز كراهيتي لك؛ لاسيما الذى أخبرني به من قبل عن والدك الملك رودولف الرابع.. أنه قد أجبر والدتي على التخلي عني لكي يتزوج بها، وكذا محاولته التخلص مني آنذاك؛ لولا أن تمكَّن ويليام من الفرار بي إلى حيث لم يستطع العثور علينا.

ولكن تبين لى الآن أن جل ما أخبرني به ويليام؛ كان فقط مجرد أكاذيب ابتدعها لكى يجعلني أساعده في الحصول على ما خطط له منذ البداية.

فعندما حان وقت زيارتى فى ذلك اليوم لم يكن ويليام ليلغي رحلتنا إلى إنجلترا كي لا أشكّ في أمره، إلَّا أنَّه قد قام بإجراء تعديل بسيط في وجهتنا كما أخبرتك؛ وعندها التقينا براسندل في محطة القطارواصطحبناه معنا خلال الرحلة إلى أن أوشكنا على بلوغ مقصدنا، ومن ثم فقدنا أثره؛ فلم ندرى إلى أين ذهب..!

وما أن وصلنا إلى ستريلسو حتى استأجرنا إحدى العربات وقمنا بجولة في أرجاء المدينة حتى وصلنا إلى أحد الفنادق في منطقة نائية إلى حدٍّ ما في ضواحي العاصمة؛ حيث أقمنا لليلة واحدة.

خلال تلك الليلة عرض علي ويليام تلك الرسالة التي تلقَّاها قبل سفرنا، ومن ثمَّ بدأ يروي لي قصصه المزيَّفة عن الملك رودولف، ثمَّ حاول إقناعي بالانضمام إليه في خطتهم للتخلص منه والاستيلاء بمساعدتي على حكم روريتانيا، وقد نجح في ذلك بعد أن أضرم نيران الانتقام بداخلي. فشعرت حينها برغبة كبيرة في الانتقام منك والثأرلكل من أخي ووالدتي، ولي أيضا.

أمضيت ليلتي في ذلك الفندق وأنا أفكِّر بما ينتظرني في الغد !. فلم يخالجني الشعور بالنعاس لوهلة، وكذا فلم أستطِع الكفّ عن النحيب والبكاء، وكلّ ما كان يشغلني آنذاك هوكيف سأتمكَّن من الانتقام منك !!

ظل الحال بي كذلك طوال الليل حتى حلول صباح اليوم التالي، وبالكاد أشرقت الشمس حتى سمعت صوت طرق على باب غرفتي؛ فإذ به ويليام قد أتى ليخبرني بأن أستعد للذهاب بعد أن تلقَّى رسالته الثانية.

_ وماذا كان في تلك الرسالة؟! (سأل الملك).

أجابت ديفيلن:

_ علمت فيما بعد أنها كانت رسالة وجهها إليه روبرت؛ ليخبره بنجاح خطتهم لاختطاف ملك روريتانيا، و أنه قد حان الوقت للبتّ في خطوتهم التالية.

بعدها ذهبنا في طريقنا إلى مكانٍ ما لا أدري إلى أين !؛ فلم يخبرني ويليام بذلك إلى أن وصلنا إلى منطقة ما في وسط الغابات تقع غرب العاصمة؛ حيث وجدنا هناك ثلاثة من رجال سبانر بانتظارنا. فبدوا كرجال العصابات في هيئتهم المخيفة تلك، وكذا الأسلحة التي يحملونها في أيديهم.

وقد كان أحدهم قصير القامة، عريض البنية، ذو شعر قصير أصفر؛ يتوسط الاثنين برفقته. وأما أحدهما فكان أطول منه قامة إلى حدٍّ ما، ولكنه كان ضخم للغاية وذو وجه داكن وقبيح تعلوه ندبة كبيرة فوق حاجبه الأيسر، وأما الآخر فكان متوسط القامة بين السابقين؛ ولكنه بدا في غاية الخطورة من ملامح وجهه العبوس ذاك وحدبة عينيه الثعلبية؛ والذى ظلّ صامتًا طوال الطريق رغم تبادل الحديث بين كلا الآخرين.

حتى وصلنا إلى مكانٍ ما أشبه بِـ (وقر) لهم _وكأنه قصر كبير_ يحيط به من كل جانب حرَّاس يحملون معهم الكثير من الأسلحة.

وما أن وصلنا حتى وجدت رجلًا بانتظارنا هناك فعرفته على الفور؛ لقد كان هذا الشخص هو روبرت الذي حدَّثني عنه ويليام في الليلة الماضية.

فاستقبلنا إلى الداخل ولحظت كيف كان ينظر إلي بطريقة غريبة !، إلَّا أنني لم ألق بالًا لهذا.

وقد سار بنا إلى داخل الوقر عبر مَمرٍّ طويلٍ يتفرَّع منه مَمرَّات أصغر، يقود كلٌّ منها إلى قبو سري وينتهي بزنزانة ما فى الأسفل؛ فبدا وكأن المكان أشبه متاهة أو بالأحرى مغارة تضم بها مجموعة من السراديب، والغرف ذات الأبواب الحديدية التي تشبه أبواب السجن، وكذا تلك النو افذ التي تحمل القضبان عليها.

وكأن روبرت يأخذنا في جولة حول المكان الذي سنقيم به لفترة طويلة إلى أن ينتهوا من هذا الذي يخططون من أجله ! فعلمت أنَّه يريد إبقائنا أمام ناظريه طوال الوقت؛ لكي يضمن بذلك نجاح خطته، ويكون كلّ شيءٍ على ما يرام.

بعد أن انتهينا من تلك الجولة.. أخذنا روبرت إلى غرفة بالمرآب؛ حيث التقينا هناك بالشخص ذو الملامح الأكثر سوءًا بين جميعهم، وعلمت أنَّه كان يدعى مارك سبانر!

وقد أدركت فيما بعد أنَّه يتزعَّم جميع أولئك المجرمين المحيطين بالقصر، كما رأيت شخص آخر ملقى هناك على الأرض وبدت ملامحه مألوفة للغاية؛ فاقتربت منه شيئًا فشيئًا حتى تمكَّنت من رؤية وجهه بالكامل، فعرفته على الفور وقلت بصوت مضطرب و أنا أنظر إلى ويليام:

_ يا إلهي.. إنَّه يشبهه تمامًا!، أليس هذا هو رودولف راسندل؟!

قاطعها الملك قائلًا:

_ تمهلي قليلًا..! أسمع وطأ أقدام شخص ما بالجوار؛ أظن أن أحدهم قادم باتجاهنا.

_ يا إلهي، ماذا سنفعل؟ (تساءلت ديفيلن).

_ اذهبي من هنا الآن! و أنا سأعود إلى الداخل كي لا يكشف أمرنا. (أجابها الملك).

أوشكت ديفيلن أن تفعل مثلما قال؛ لولا أن منعها حديثه إليها وهو يقول لها:

_سأكون بانتظاركِ في المساء، ستأتين. أليس كذلك؟

_ بالطبع سأفعل. (أجابت ديفيلن).

وعندها ذهبت ديفيلن للاختباء خلف أحد تلك الأزقة الضيقة التي تحف الساحة السفلى من الوقر إلى أن تجاوزها الحارس، ومن ثمَّ أسرعت بالخروج من هناك قبل أن يلحظ وجودها أحد، وحالفها الحظ فى هذا بنجاحها في العودة إلى الأعلى دون أن تلفت الانتباه.

بعد ذلك دخل الحارس إلى الغرفة _حيث كان الملك هناك مستلقيا على فراشه_ فألقي عليه نظرة، وقد زعم الملك بأنه نائم إلى أن عاد الحارس مرَّة أخرى إلى حيث أتى !

بعدها بدأت رحلة الملك القصيرة في الانتظار بغرفته إلى أن حل وقت المساء؛ فأتت إليه ديفيلن مرَّة أخرى، وكانت الساعة قرابة السادسة عندما دخلت إليه فوجدته جالسا هناك في الجانب المظلم من الغرفة وحيدًا؛ تبدو على وجهه علامات

الجزع والاضطراب تلك التى لم تشهدها ديفيلن من قبل خلال تلك الفترة القصيرة التي قضتها برفقته، وهنا بادرت بحديثها إليه قائلة:

_ طلب منى سبانر أن أحضر إليك بعض الطعام، وقد علمت بأنك متيَّم بتناول المأكولات البحرية. أليس كذلك؟

لم تتلقَّى ديفيلن إجابة من الملك؛ فقرَّرت عندئذ أن تسأله عن سبب استيائه:

_ ما بك أيُّها الملك رودولف، هل أنت بخير؟!

فأجابها الملك بنبرة اختلطت بها مشاعره بين الحزن والأسى:

_ لا أعلم لما أفشل دائمًا في محاولاتي المتكررة لكي أصير ملكًا بحق لدولتي ! فطالما كان راسندل أفضل مني بهذا، لا أدري ما السبب؟؛ ترى هل كان مقدرًا له أن يصير ملكًا ما ذات يوم، أم أنني من لم يكن من المفترض له أن يصير ملكًا على الإطلاق؟

أخشى أن مايكل كان محقا بأنه أجدر مني بذلك المنصب ! (قال الملك باستياء)

فعلقت ديفيلن:

_ لا يجدر بك قول هذا. فأنت تحاول أن تصير ملكا صالحا لدولتك، وأما مايكل فلم يكن ينوي هذا على الإطلاق !

هوِّن عليك أيها الملك ! ولتنظر إلى الجانب المشرق من كونك الآن هنا؛ فقد حاولت مساعدة شبيهك وتخليصه من قبضة ذلك المجرم، ولكن الحظ لم يحالفك في ذلك.

_ والآن الوضع قد عاد لما كان من المفترض أن يكون عليه منذ البداية؛ فهذا قدري أن أكون هنا لأتحمل مخاطر مكانتي في المجتمع، وليس راسندل. (علق الملك)

ثم عقب على ذلك: إلَّا أنني سعيد بهذا كثيرًا ! فلو أنني لم أفعل؛ لما كنت سألتقى بك.

_ و أنا أيضًا سعيدة للغاية! لأنني التقيت بالملك رودولف الحقيقي. (قالت ديفيلن مع ابتسامة لطيفة رسمتها على وجهها)

فعقَّب الملك بقوله:

_ لو أن الأعظمية قد صدقت بأن.."حياة المرء رواية ينبغي جعلها تستحق أن تروى" فآمل أن ما نحن فيه الآن يغدو قصة تتداولها الأجيال عبر الزمن.

لك هذا أيها الملك رودولف! أرى بأنك ستكون سعيدًا للغاية متى علمت أن أمنيتك قد تحققت. ألَّا تظنون ذلك؟! ..(رودولف راسندل)

(وفي صباح اليوم التالي..)

استمعت ديفيلن لحديث دار بين روبرت وسبانر يفيد بمخطط جديد على وشك أن يبدأ عما قريب..

_ "وعندما يحين الوقت سيكون جميعهم في عداد الموتى؛ بداية من ذاك الشبيه وحتى الملك الحقيقى لدينا".

فكانت تلك آخر هى جملة تسمعها ديفيلن على لسان سبانر لروبرت؛ قبل أن تذهب مسرعة إلى غرفة الملك وتقص عليه ما سمعته للتوّ، ثمَّ سألته:

_والآن ماذا سنفعل؟ فقد انتقل بنا سبانر إلى خارج البلدة، وبتنا جميعا تحت سيطرته. ألن نتمكن من فعل شيء ما لإنقاذك !

فأجابها الملك بهدوء:

_ هوّني عليكِ ! لقد فعلت جل ما بوسعكِ أن تفعلى، ولكنه كان خطأى مني منذ البداية؛ فلو أنني استمعت لما قاله سابت ولم آتي إلى هنا؛ لكان انتهى أمر ذلك المجرم إلى الأبد.

_وأنا كذلك! فلو أنني رفضت الاشتراك معهم في تلك المؤامرة؛ لما...! (عقَّبت ديفيلن)؛ قبل أن يقاطعها الملك بحديثه:

_ لا عليك..! لقد تم خداعك تمامًا مثلما فعلوا معنا آنفًا. (قاطعها الملك)

عندئذ بكت ديفيلن قائله:

_ تخلت عني والدتي عندما كنت صغيرة من أجل مطامعها، وكذا فعل أخي مايكل وأخيرًا عمى ويليام، لقد خسرت كلّ شيء، والآن أنا أخسر نفسي أيضًا.

_ اهدأي قليلًا من فضلك ! وانصتي جيدا لما سأقوله لكِ.. "فالطيبون هم من يفوزون دائمًا في النهاية؛ حتى وإن تعددت خسائرهم !" أعدكِ بذلك. فأنا موجود معكِ الآن؛ ولاشك أن راسندل وسابت سيتمكنا من الوصول إلينا عما قريب. (علق الملك).

_ ولكن كيف؟!؛ حتى أننا لم نعلم إلى أين يأخذنا سبانر قبل أن نصل إلى هنا؟! (تساءلت ديفيلن).

_ لا أعلم كيف! ولكنني أثق بكليهما كثيرا، وأعلم بأنهما سيعثرانِ على طريقة للوصول إلينا عما قريب. (أجابها الملك).

_ مهلًا قليلا!! أظن أن لدي فكرة جيدة..!

قاطعت ديفيلن الملك؛ فسألها بتلهف:

_ ماذا لديك؟!

_ صديقتي التي أخبرتك عنها قد تتمكن من مساعدتنا؛ فلحسن الحظ أنها تقيم في إنجلترا والتي لم تعد بعيدة عنا كما كانت من قبل..! (أجابت ديفيلن).

_ ولكن هل بإمكاننا الوثوق بها؟ (تساءل الملك).

_ بالطبع يمكننا ذلك. (عقَّبت ديفيلن).

_ هذا جيّد. إذًا ما خطتك للوصول إليها؟ (تساءل الملك).

اتفق كلاهما على أن تقوم ديفيلن بإخبار ويليام أنها تود زيارة صديقتها، وإن اضطرت لذلك.. فستقوم باصطحابه معها؛ كي لا يشك سبانر في الأمر.

وكان هذا تمامًا ما حدث عندما اشترط عليها سبانر أن تصطحب معها ويليام إن أرادت الذهاب.

ولكنه كان أذكى مما توقعت ديفيلن؛ فقد أرسل معهما أيضًا اثنان من حرَّاسه المخلصين.. أحدهما أشقر ذو بنية ضخمه، وأذكر بأن ديفيلن أخبرتني فيما بعد أنَّه كان إنجليزيًّا ويدعى (لينكولن)، وأما الآخر فكان ذو الوجه العبوس الذي تبرز

تجاعيده بوضوح وكان أقصر منه قليلًا ويدعى (ميك)؛ والذى أخبرتني كذلك أنَّ بإمكانه الركض بسرعة كبيرة لمسافات طويلة.

لحسن الحظ..! لم تواجه خطتها مشكلة في التعامل مع تلك المستجدات؛ فعلى الفور توجَّهت مع السيد ويليام وكلا الحارسين خلفهما بمسافة قصيرة تقدر ببضعة أمتار تقريبًا، وفي الطريق أخذت تتحدَّث إلى عمها بأمور عدة، ومن ذلك سؤالها له:

_ ماذا سنفعل بشأن الملك؟

_ لا يظن سبانر أن سابت قد استطاع التعرف عليه خلال المعركة التى دارت بينهما فى تلك الليلة، وكان أمرًا جيّدًا أن روبرت لم يكن موجودًا هناك أيضا عندئذ..! (أجابها ويليام).

_ إذًا لا تزال خطتنا جارية؟ (عقَّبَت ديفيلن).

_ لا أعرف بعد..! ولكن لا تقلقي يا عزيزتي؛ عاجلًا أم آجلًا سنتمكن منهم جميعا وسنسترد حقوقنا. (أجابها ويليام).

فقالت ديفيلن بصوت منخفض مع نبرة حادة:

_ أودُّ لو أتمكن منك أنت يا ويليام جراء كل أكاذيبك وخداعك لي.

_ ماذا؟ هل قلت شيئا ما..! (سألها ويليام).

_لا. ولكننى فقط أفكِّر في الابتعاد عن كلّ هذا وأعود إلى الديار مجدَّدًا؛ فأنا لا أثق بأولئك الأشخاص. (أجابت ديفيلن)

فبدا ويليام متوترا للغاية لسماع هذا، وأسرع إليها بحديثه:

_ لا. لا. إن سبانر هو شخص نبيل حقًا، وهو يسعى فقط لمساعدتنا دون أدنى مقابل. والآن أخبريني.. هل بقيَ أمامنا الكثيربعد حتى نصل إلى منزل صديقتك؟

فنظرت إليه ديفيلن بحدَّة بالغة ولم تعقب.

لم يمضِ الكثيرمن الوقت بعدها حتى بلغا مقصدهما وكانت المفاجأة الكبرى..!!

فقد وصلت ديفيلن مع ويليام إلى حيث كنت أسكن برفقة أخي روبرت وزوجة أخي روزفي قصرعائلة بيرلسدون.

نعم يا سادة..! لقد كانت ديفيلن هي صديقة روز التي أتت لزيارتها، وقد اتضح بأنها نفس تلك الفتاة التي رشحتها لي زوجة أخي لكي أتزوجها.

وصدقت المقولة يا أعزائي؛ بأن.. "لمسات القدرأكبرمن أن يتوقَّعها أحد !".

(والآن إليكم ما حدث بداخل قصربيرلسدون خلال تلك الزيارة...)

الفصل الخامس

"في قَصرِ بيرلسدون"

وصلت ديفيلن برفقة ويليام إلى القصروقد أخبرته بأن يطلب من أولئك الحرَّاس برفقتهم الانتظارفي الخارج لحين عودتهم؛ فلم تود أن تلفت انتباه صديقتها إليهما؛ فتمكَّنت بذلك من إقناع ويليام وكلا الحارسين بالبقاء، ومن ثم طلبت من حارس القصرأن يسمح لها بمقابلة صديقتها زوجة اللورد بيرلسدون.

فقادهما الحارس (مانويل) إلى الداخل وأوصلهما إلى غرفة الاستقبال، ثمَّ طلب من الخادم (لاري) إبلاغ السيدة روزبأن صديقتها الآنسة ديفيلن بانتظارها في الأسفل، وما أن وصل الخبرإلى مسامع روزحتى خرجت مسرعة لاستقبالها وتعلو وجهها علامات الفرح والبهجة، وتبادلا معًا تهنئة حارة استمرت لما يقرب من العشر دقائق على أقل تقديرٍلي، ومن ثم داربينهما حوارالأصدقاء التالي..

عندما بادرت روزبحديثها إلى ديفيلن وقالت:

_ إذًا! لقد مضى وقت طويل على هذا. صحيح؟!

_ نعم! لقد كانت تلك هي المرَّة الأخيرة عندما التقينا في مقهى (أوسلو).

علَّقت ديفيلن، فقالت لها روزوهي تضحك:

_ لا أزال أتذكَّرفنجان القهوة ذاك..!

_ نعم، هذا الذي سكبتِيه فوق ثوبي الجديد؛ أذكر أنني قد اشتريته خصيصًا من أجل ذلك الشاب الذي لم يبالي بي قط. (أجابت ديفيلن).

_ أووووه! لَا تزالين تتذكرينه إذًا..؟! (قالت روزوهي تمازحها).

_ لا. ليس بعد ذلك اليوم؛ فقد أدركت حينها أنه لا يجدربنا أن نكون معًا. فهو ليس من نوعي المفضَّل كما تعلمين..! (أوضحت ديفيلن).

_ أو بالأحرى أنكِ من كنتِ كذلك بالنسبة له..؟! (عقبت روز ضاحكة).

_ نعم، يمكنكِ قول ذلك! (قالت ديفيلن وتعلو وجهها ابتسامة الخجل).

_ كم افتقدت تلك الأيام يا عزيزتي ديفيلن.!! (قالت روز بعاطفة تملؤها).

_ نعم. و أنا كذلك..! (أجابت روز).

خلال تلك الفترة التي قضتها ديفيلن برفقة روز في القصر..

تعدَّدت محاولاتها لتشتيت انتباه ويليام، ولكنها لم تنجح في ذلك، وكادت خطتها أن تفشل بعد إخطارها روز بأن عليها الذهاب لأمور طارئة، وأضافت بأنها ستحاول الاتصال بها مجدَّدًا فور أن تتمكَّن من الانتهاء منها.

وكان هذا النقاش بداية من سؤال روز لها عن خطتها لقضاء العطلة برفقتها في قصر بيرلسدون؟

فأجابت ديفيلن:

_في الو اقع! ءأسف لإخبارك بأنني هنا فقط لبضع دقائق قليلة؛ ومن ثم سأعود مجدَّدًا إلى حيث أتيت.

_ بمعنى؟! (تساءلت روز بتعجُّب).

_ أنني سأغادر في غضون بضع دقائق. (أوضحت ديفيلن باستياء).

_ لا أظنكِ تقصدين أنكِ قطعتي كلّ تلك المسافة؛ فقط لقضاء بضع دقائق برفقتي، ومن ثم ترحلين بتلك السرعة..؟! (تعجَّبت روز).

_ أود لو يمكنني البقاء أكثر من ذلك، ولكن..!

قالت ديفيلن، وما لبث أن قاطعها ويليام بحديثه قائلا:

_ نعم يا سيدتي ! نحن على عجلة من أمرنا؛ فقد أتينا إلى هنا في رحلة عمل.

_ آسفة..! إنَّه السيد ويليام، الشقيق الأصغر لوالدتي. (أوضحت ديفيلن).

_ معذرةً يا سيد ويليام ! أهلا بك في قصر بيرلسدون. (روز ترحب به).

فأجاب ويليام بحماقة:

_ يسعدني التواجد هنا كثيرًا، أظن أنني سأحظى بقصرٍ مماثل عما قريب !

_ ماذا..؟! (تساءلت روز متعجِّبة مما يقول).

فتدخَّلت ديفيلن على الفور بحديثها إليه:

_ معذرة يا سيد ويليام !، أيمكنني الإنفراد بصديقتي لبعض الوقت من فضلك ؟!

فأجابها قائلًا:

_ بالطبع يمكنكِ ذلك.

ثمَّ ذهب كلاهما إلى المرآب، حيث كانت تلك هي فرصة ديفيلن الوحيدة لإخبار روز بحقيقة ما يجري وأنها بحاجة لمساعدتها، وقد صرحت بأنها لم تستطع قول ذلك أمام ويليام؛ لأنه متورِّط في الأمر.

بعد حوار قصير لم تفهم منه روز الكثير؛ كان جلّ ما فهمته أن ديفيلن تطلب منها الذهاب إلى روريتانيا لمقابلة الملك شخصيًّا وتسلم إليه تلك الرسالة، وإذا لم تتمكن من مقابلته؛ فينبغي عليها أن تطلب مقابلة العقيد سابت وتعطيه الرسالة، ومن ثم تعود أدراجها إلى إنجلترا دون النظر إلى الخلف.

وهنا يعلو صوت ويليام طلبًا من ديفيلن أن تستعد للذهاب؛ فقد اقترب موعد قطارهما.

فلم يكن لديها مانع من الذهاب الآن؛ فقد انقضى عملها بالفعل وجرت الأمور على ما يرام وفقًا لخطتها.

فعادت مع روز إلى غرفة الاستقبال؛ حيث كان ويليام ينتظرهناك ويجول بناظريه في كل أنحاء القصر، ويمني نفسه بامتلاك قصرٍ كهذا في يومٍ ما !

_ آسفة لمقاطعة أحلامك يا سيد ويليام، ولكن حان وقت الذهاب. ألَّا ترى ذلك؟

قالت ديفيلن جملتها، وكان ويليام لا يزال يتفحص القصر؛ إلا أنه أجابها بلسانه فقط:

_ بالطبع يا عزيزتي!

_ فلنذهب إذًا..؟ (قاطعته ديفيلن بنبرة حادة).

_ نعم. نعم. بالطبع!! (أجابها بتوتُّر)

بينما هم الآن في طريقهم إلى الخارج؛ إذ بهم يمرُّون أمام صورة صغيرة لي، بالكاد استطاعت ديفيلن أن تلحظها، وكانت مفاجأة مفجعة بالنسبة لها؛ فشردت بذهنها لثوان معدودة يدور بخاطرها الكثير من الأفكار، والجدير بالذكر أن أهمها على الإطلاق.. كان أنها قد علمت بأن الشخص الذي أرادت صديقتها أن تزوجها له كان هو نفسه ذاك الشبيه الذي كادت أن تتسبب في مقتله.

فأرادت التحقق من صحة الأمر ولكنها لم تستطع، فاجتهدت تفكِّر في طريقة ما لاستعاده تلك الرسالة ومنع روز من الذهاب إلى روريتانيا ولكن الأوان قد فات؛ فلم يعد أمامها الآن سوى بضع خطوات فقد قبل أن تغادر بوابة القصر.

فما كان منها إلَّا أن استسلمت للأمر؛ وقد أدركت بأنه لم يعد هناك فرصة أمامها لفعل أى شيء يجعل الأمور تؤول إلى حالٍ أفضل مما صارت عليه..!

بعد ذهابهما، ظلت روز في حيرة من أمرها، وقرَّرت بأن عليها مساعدة صديقتها، ولكنها لم تستطيع إخبار روبرت بتفاصيل ما يجري؛ لكي لا يمنعها من السفر خوفًا عليها.

وهنا أتناوب دوري في عقل روز؛ التى لم تنسَ الاستياء من تصرفاتي بعد ! لاسيّما أنني لم أكن موجودًا هناك في الوقت المناسب _كما وعدتها بأنني سأفعل_ مما تسبَّب في إغضابها كثيرًا، وقد حدَّثت نفسها عني قائلة:

_ لو أن ذا الشعر الأحمر هنا الآن؛ لتمكَّنت من الاعتماد عليه للمرَّة الأولى في حياتي، ولكن هذا هو رودولف راسندل! وسيظل هكذا لما بقَّى من عمره.

(حواربين ديفيلن والملك...)

وما أن عادت ديفيلن إلى الوقرحتى ذهبت مسرعة إلى الملك؛ الذي صعق برؤيته كل تلك العلامات من الجزع والاضطراب تعتري وجهها، فما كان منه إلَّا أن أسرع إليها بسؤاله:

_ ماذا هناك؟، أكل شيء على ما يرام؟

ظلَّت ديفلين شاردة ولم تجب على سؤاله، فتابع الملك:

_ ماذا؟، ألم تنجح خطتنا؟

عندئذ انتبهت إليه ديفيلن، وقالت بتوتُّر:

_ لا! بلى. بلى. يا إلهي ما الذي فعلت؟

_ ماذا هناك؟! (تساءل الملك).

_ لا شيء! آمل بأن مكروهًا ما لن يصيب صديقتي..! (قالت ديفيلن باستياء).

_ ولما قد يحدث؟، هل علم ويليام بشأن خطَّتنا؟! (تساءل الملك).

_ لا ليس بعد!؛ ولكن أتمنى لو أنني لم آت إلى هنا مطلقًا؛ فأنا لم أقم فقط بتعريض حياتك وحياة راسندل للخطر؛ بل وحياة صديقتي روز أيضا..! (أجابت ديفيلن).

_ وكيف هذا؟! (تساءل الملك).

_ روزصديقتى هي زوجة اللورد بيرلسدون و...! (أجابت ديفيلن)، وقبل أن تكمل حديثها قاطعها الملك:

_ تمهلي قليلًا من فضلكِ..! أتقصدين اللورد بيرلسدون.. الشقيق الأكبر لرودولف راسندل؟!

_ بلى..! أكنت تعلم بشأن هذا؟! (سألت ديفيلن).

_ نعم بالطبع! (أجاب الملك).

_ ولمَ لم تخبرني بذلك إذًا؟ (تعجَّبت ديفيلن).

_ حقًا !! ولما لم تخبريني بأن صديقتكِ هي زوجة اللورد بيرلسدون؟! (علق الملك)، ومن ثمَّ عقَّبت ديفيلن قائلة:

_ يا إلهى! لقد وقعنا في ورطة كبيرة.

_ نعم أرى ذلك! ولكن أخبريني.. هل و افقت زوجة اللورد بيرلسدون على الذهاب إلى روريتانيا، وتسليم رسالتك إلى الملك بنفسها؟ (تساءل الملك).

_ بالطبع لقد فعلت! فهي لن تتردَّد في فعل ذلك من أجلي! (أجابت ديفيلن).

_ إذًا نحن في ورطة بالفعل!! فما أن تصل صديقتكِ إلى هناك وتلتقي بالملك حتى تتعرَّف إلى راسندل؛ ومن ثم يكشف أمرنا أمام الجميع! (قال الملك).

_ ترى ما هو الأسوأ إذا..! هل هو نجاح خطتنا مع تلك الرسالة، أم فشلها فلا يبقى أمامنا عندئذ سوى ملاقاة المصير الذي ينتظرنا في هذا المكان؛ حيث لن يعلم أحد ما بشأننا؟! (قالت ديفيلن).

_ لا يهمّ. فقد بات الأمر متروكًا للسماء..! (قال الملك بقلق).

_ إذًا فلنأمل بأن نظل جميعنا على قيد الحياة..! (تمنَّت ديفيلن).

(على الصعيد الآخر..)

لقد كنت هنا في القصر الملكي برفقة سابت وفريتز نتابع إعداد كافة التحضيرات اللازمة لإقامة حفل المساء، وبينما كنا في غرفة الملك نتسلَّم توقيع بعض الأوراق الهامة؛ إذ بصوت طرقٍ على الباب يتبعه دخول الخادم سميث ليخبرنا بما يلي..

_سيدي الملك، الأميرة فلافيا تنتظرك بالأسفل.

عندئذ نظرت إلى سابت، ولم أعقب!

_ حسنًا. أخبرها بأن الملك سيأتي إليها في الحال. (أمره سابت بأن يفعل)، ومن ثم نظر إلي، وسألني:

_ هل أخبرتك الأميرة بأنها ستأتي لزيارتك اليوم؟

_ لا.. لم تفعل! (أجبته بتعجُّب).

_ ترى ما الذي جاء بها إلى هنا إذًا؟! (تساءل سابت).

_ سأذهب و أتفقَّد الأمر..! (أجبته بلهفة).

_ حسنًا لا بأس! ولكن حاول ألَّا تطيل إليها في حديثك، فقط اعلم ما سبب قدومها إلى هنا، ثمَّ أنهي معها الحديث وعد أدراجك مجددا. (عقَّب سابت).

_ حسنًا. (منحته الإجابة التي ينتظر سماعها، ولكنني لم أظن بأن هذا ما سأفعله حقا). وعلى الفور ذهبت مسرعًا إلى الأسفل لأجد الأميرة بانتظاري في غرفة المكتب، وما أن وصلت إلى حيث كانت تقف وصرت بمواجهتها حتى بدأت حديثها إلي قائلة:

_ مرحبًا بك أيها الملك!

فأجبتها بابتسامة:

_ أهلا بك يا ابنة العم! تفضَّلي بالجلوس. أتودِّين تناول بعض القهوة؟

_ لا أشكرك كثيرا. فقد أتيت لكي أعتذر منك عما قلته في يوم أمس؛ فلم ينبغي علي التحدث إلى الملك على هذا النحو السيِّئ..! (أجابت بحزم وثبات تعجبت لهما).

_ لا عليك ! لقد كنتِ محقَّة فيما قلته إليَّ. (علقت محاولا استدراجها لتتكلم).

_ معذرةً أيها الملك، فأنا ألحظ شيئًا غريبًا بك..! (عقَّبت فلافيا)، ومن ثمَّ نظرت إلي بطريقة غريبة لم أفهم ما الذي ترمي بها إليه ! فضحكت قائلًا:

_ ماذا هناك؟، ألا زال لديك المزيد بعد لتلقينه علي؟

_ عفوًا، فقط كنت أنظر إلى هذا الجرح الصغير في إبهامك، ترى كيف حصلت عليه إذًا؟ (أجابت فلافيا مستنكرة).

_ يا إلهي! لقد نسيت تمامًا أمر ذلك الجرح. (قلت بصوت منخفض)، وشعرت كثيرًا بالارتباك؛ فلم أعلم كيف أخرج من هذا المأزق!

عندئذ وصل سابت فى الوقت المناسب، وتدخل بحديثه إلى قائلا:

_ معذرةً على المقاطعة أيُّها الملك! لقد حان وقت الذهاب الآن؛ فلازال لدينا عمل هام نقوم به من أجل الاستعداد لحفل المساء.

فنظرت إليه، ثمَّ أعدت النظر إلى الأميرة التي سرعان ما تبسمت، وقالت لي:

_ لا بأس! سنستكمل حديثنا في وقتٍ لاحق.

_ أعتذر منك كثيرًا على هذا..! (قلت لها).

_ لا عليك! فعلى أيَّة حالٍ، سأكون هناك أيضًا بين الحضور في حفل المساء، وكذا فسيكون هناك الكثير من المعارف بانتظارنا؛ فما رأيكِ أن نستقبلهم معًا؟ (اقترحت علي فلافيا)

فقلت لها بتوتر:

_ بالطبع. ولما لا! هذا من دواعي سروري.

_ حسنًا هذا جيد، أستأذنك بالذهاب الآن أيها الملك رودولف، أراك بالمساء. (قالت فلافيا بمكر).

_ أظنها بدأت تشك في أمري! (عقبت على هذا)، ثم تابعت التحدث إلى نفسى قائلا: وإن يكن! فهذا يعجبني كثيرًا، أودُّ لو أستطيع التحدث إليها بهويتي الحقيقية.

_ ماذا إذا علمت الأميرة بشأن اختطاف الملك رودولف؟ ..(سؤال تبادر إلى ذهني آنذاك؛ فألقيته على سابت وفريتز).

فأجاب سابت بحدَّة:

_ وماذا بر أيك؟!، أسيكون ذلك أسوأ من اختطاف الملك في حدّ ذاته؟!

_ يبدو أنَّ عليك الحفاظ على مسافة كافية في تعاملك مع الأميرة يا راسندل! (علَّق فريتز)، ومن ثمَّ أردفَ سابت بجملته _التي علمت منها ما كان يرمي إليه بها عن محاولتي التقرُّب من الأميرة؛ عندما قمت بزيارتها دون إخطاره بهذا_ قائلا:

_ أرى ذلك أيضًا. وآمل أنك تتفهَّم هذا جيدا!

(لاحقًا في ذلك اليوم قرابة الساعة الثانية ظهرًا...)

خرجت لمتابعة حركة الجنود المصطفُّون حول القصر_كجزءٍ هامٍ من إعدادات حفل المساء_ فبدأت أترقب حركتهم المنتظمة، وكذا الأسلوب الذي يتبعونه في اتخاذ مواقعهم؛ لتوفير الحماية الكاملة لجميع الحضور.

وقد كنت مستمتعًا كثيرًا بهذا المشهد؛ قبل أن يعترض طريقي جندي عبوس لم أكن لأفتقده طوال الستة أشهر الماضية، إلَّا إنَّه سيتوجب علي الآن أن أعود لمجابهته من جديد! ..بالطبع إنَّه المارشال ستراكنتز؛ الذى علق على سعادتى بالتواجد هناك قائلا:

_ ترى ماذا به؟؛ وكأنه يتعرض لمشهد كهذا للمرَّة الأولى!

_ سيدي! يطلب الملك رودولف أن نقوم بعمل استعراض لتنظيم حفل المساء.

(أحد الجنود يبلغ المارشال بما أمرته به)

_ عد إلى موقعك أيُّها الجندي!، وتابع ما كُلِّفت به. (علق المارشال على إخطار الجندي بصرامة)، ومن ثمَّ لحظت كيف كان يتقدَّم نحوي بخطوات حازمة إلى أن وصل إلى مقدمة ساحة القصر السفلى؛ حيث كنت أقف هناك أنتظر قدوم سابت، ومن ثمَّ بدأ حديثه إلي قائلًا:

_ معذرةً أيها الملك! فقد أبلغني أحد الجنود بأنك تودُّ رؤية استعراض عسكري، ولكن ألَا يعلم سيادتكم بأنَّه ليس متاحا في مثل هذه المناسبات؛ وإنما يكون فقط في الاحتفالات العسكرية.

_ يا إلهى. كيف فاتني مثل هذا الأمر..! (عنفت نفسى)، ومن ثمَّ حاولت أن أبتدع حجة لأتعامل مع هذا الموقف؛ فقلت له بحزم:

_ بلى. أنا أعلم هذا جيدا!، ولكنني أود رؤية استعراض الجنود الآن؛ إن لم تكن تمانع أيها المارشال ستراكنتز؟

_ بالطبع لا أفعل. أمر سيادتكم..! (أجابني المارشال ستراكنتز).

وجرت الأمور على ما يُرام، إلَّا أنني قد لفتت إنتباهه إلي بفعلتي تلك؛ فبات يتتبعني الآن بناظريه طوال الوقت دون انقطاع.

وكانت إحدى فقرات الاستعراض التي أعدَّها المارشال هي المبارزة بالسيف؛ حيث شارك بها أمهر الفرسان، ويمكنني القول بأنها كانت أفضل الفقرات على الإطلاق. بالطبع لقد كانت كذلك؛ فلازلت أتذكر ذلك الفارس؛ يا له من مقاتل بارع مع السيف! لاسيما تلك الطريقة التي يتغلَّب بها على الخصم.

حسنا. لا أستطيع مقاومة هذا! أودّ خوض نزال مع هذا المحارب. (قلت فى نفسى)

_ إذًا من التالي؟ (علا صوت الجندي معلنًا تحديه لمن يقبل به).

_ إنه أنا..! (كان هذا هوردّي عليه).

تعجَّب الجندي قائلًا:

_ أهذا أنت أيُّها الملك رودولف؟!

_ نعم. ألَا يمكنك مبارزة الملوك؟! (أجبته متسائلًا).

_ إنه لشرف كبيرلي يا سيدي..! (أجاب الجندي).

_ إذًا فلنبدأ. (عقَّبت على الجندي).

عندئذ دارت بيننا مبارزة؛ لن أقول بأنها لم تكن أمتع ما مررت به على الإطلاق أو أنها _بالأحرى_ كانت أصعب ما مررت به!

فلوهلة شعرت أن ليس باستطاعتي هزيمته، وكذا فلا يمكنني تقبُّل الهزيمة أمامه.

_ يا إلهي. وها أنا ذا أقحمت نفسي في مأزقٍ جديد! (قلت لنفسي).

ولكن لا بأس بذلك!؛ فإن كنت قد بدأت النزال فيتوجب عليَّ إنهاؤه، وعلى أيَّة حالٍ فلم يعد هناك مجالا للتراجع، ولا خيارلديَّ سوى التغلُّب عليه بأيّ طريقةٍ كانت!

وبينما كنت أفكِّرفي طريقة ما..! شرد ذهني لثوانٍ معدودة، وعندئذ تمكَّن مني ذلك الفارس ففاجأني بضربة كادت أن تفلت السيف من يدي؛ لولا أنني تعاملت مع

الأمر، ولكنني أدركت حينها بأن السيف لن يكون وسيلتي للتغلب عليه؛ فهو أمهر مني كثيرًا في استخدامه.

إذًا..! لابد من استخدام حيلة ما لإنهاء هذا النزال. وعلى الفور بدأت خطتي بقتال غليظ معه للتمويه عما أحاول أن أفعل؛ ومن ثمَّ أخرجت خنجري بخفة واستعملت مهارتي به؛ فسددته إلى ساق الحصان الذي يمتطيه الجندي، وأطحت به أرضًا.

وبسرعة قفزت من فوق حصاني، وأشهرت سيفي في وجه الحارس معلنًا بذلك انتصاري عليه!

فصفق لي الجميع! فنظرت إليهم ورفعت يدى لإلقاء التحية، ثمَّ عرضتها على الجندي لمساعدته على الوقوف، وطلبت من جندي آخر أن يساعده ويتفحَّص ما إن أصيبت قدمه أو ما شابه!

ومن ثمَّ عدت ألقي التحية على الحضور من جديد؛ إلَّا أنَّه قد وقعت عيناي على فريتز الذي كان يقف بينهم، وأدركت من تلك التعبيرات المألوفة التي اعترت وجهه بأن ما فعلته لم يكن صائبًا!

فلم يكن من المفترض بي فعل ذلك؛ لاسيما تلك النظرة الغريبة التي ترسخت في عيناي المارشال من أجلي؛ فبدا وكأنني أكَّدت له صحة شكوكه أو ما شابه.

_ حسنًا. أعترف بأنني كنت مخطئًا حينما أقدمت على خوض هذا النزال..! (قلت لفريتز).

_ لا فائدة من هذا الآن؛ فلدينا مشكلة أخرى! (عقب فريتز)، ثم تابع قائلا بأن السيد جينيفر على وشك الوصول إلى هنا خلال بضع دقائق قليلة فقط..!

_ ولكن أليس من المفترض به أن يصل خلال حفل المساء؟! (سألته بتوتر).

_ نعم. ولكن حدث تغيير في موعد وصوله وسيكون هنا عما قريب. فليس أمامنا سوى المخاطرة، ولا أظنك بت تهاب فعل ذلك. أهذا صحيح؟ (أجابني فريتز بمكر).

_ حسنًا. فليكن إذًا! (أجبته بثقة).

ثم ذهبنا معًا إلى الساحة الأمامية من القصر؛ حيث كان سابت ينتظر قدومي لكي يبدأ بدوره فى تدريبه لي على كيفية استقبال ضيفنا القادم؛ ولكنه بدأ حديثه أولًا بسؤالي:

_ أين كنت؟!

_سأخبرك بهذا فيما بعد! ولكن أخبرني كم من الوقت تبقى لدينا قبل وصول السيد جينيفر؟ (عقَّبت عليه).

_ بضع دقائق على الأرجح؛ فقد غادر المحطة في تمام الثالثة وخمسة عشر دقيقة. والآن أخبرني أنك لم تفتعل مشكلة أخرى..! (تساءل سابت).

_ لن أعلق على هذا! فلننتهي أولًا من المشكلة الحقيقية لدينا. (أجبته بحزم).

_ أرجو أن كل شيء سيكون على ما يرام! وأن هذا اليوم لن يسير على النحو المتوقع. (علق فريتز وهو متوترا للغاية).

فعقبت على هذا بقولى:

_ وماذا تظن إذًا؟!

_ أخشى أن السيد جينيفر يحظى بعلاقة وطيدة مع الملك رودولف؛ فيتمكن بذلك من كشف حقيقتك. (أجابنى فريتز)

_ لنفعل كل ما بوسعنا أن نفعل، وندع البقيَّة إلى السماء! فلم يبقَ أمامنا الكثير قبل وصول المنتظر؛ فقط بضع دقائق قليلة أخرى..! (أجبته بتوتر).

_ لا أظن ذلك! فقد صارهنا بالفعل. (مقاطعة من سابت).

_ فليحالفنا الحظ فى استقباله إذا! (علَّقت على خبر وصول جينيفر).

_ ما هذا..؟! (تساءلت بدهشة فور رؤيتي له).

نظرت إلى السيد جينيفر فوجدته رجلًا قصير وسمين لا يختلف كثيرًا عن ذاك الذي صادف وجودى لدى سبانر؛ أقصد هذا الذي يخال نفسه طبيبا بارعا..!

يا له من رجل! على الرغم من ثيابه اللامعة تلك ونظاراته الذهبية الكبيرة التي تجعله يبدو وكأنه ديكتاتوريًّا حاد الطباع، ذو مزاج عكِر في التعامل مع الآخرين.

إلَّا إنَّه كان يتمتع بحِسِّ الفكاهة والمرح إلى حدٍّ كبير، وهو أيضا شخص بشوش لا تفارق البسمة وجهه الدائري ذو اللون الأبيض الناصع البياض.

فبادر الضيف حديثه إلي بقوله:

_ من الرائع أن ألتقي بك مجدَّدًا أيُّها الملك رودولف!

_ لقد سررت بذلك أيضًا يا صديقي. (أجبته على الفور)، ولن أنكر بأنني كنت مسرورًا حقًّا للتعرُّف عليه.

فتابع جينيفر حديثه قائلًا:

_ نحن لم نلتقِي منذ زمن بعيد، ولكنك لم تختلف كثيرًا عن ذي قبل!

_ حسنًا، والآن يمكنني الاطمئنان بعض الشيء. (قلت في نفسي بصوتٍ منخفض)،

ثمَّ أجبته و أنا أمازحه:

_ لحسن الحظ أن أحدنا لم يفعل!

فضحك قائلًا:

_ نعم. نعم أعلم ذلك، فأنا لا أتبع حمية غذائية كما تفعل.

_ لا ليس تماما، ولكنك تبدو أنيقًا كالعادة مثلما كنت دائمًا..! (أجبته).

_ أقدِّرلك هذا يا صديقي، ولكنه لن يعفيك من إبلاغ طباخك الخاص بأن يعدّ لي وجبتي المفضلة..! (أجابني).

_ بالطبع سأفعل، ولكن أيّ نوع تقصد؟ فنحن نهوى تناول الكثير من الأصناف كما تعلم. (سألته بنوعٍ من الحذر)

_ دعنا نتناول المتاح لدينا من الطعام الآن، وسأخبرك بذلك في وقتٍ لاحق؛ فلا يزال أمامنا الكثير من الوقت لنتحدَّث. أليس كذلك؟! (أجابني).

_ نعم بالطبع! والآن تفضل بالدخول، واسترح قليلا من مشقة السفر. (عرضت عليه)

_ إنها فكرة جيِّدة، فأنا بحاجة لذلك كثيرًا. (أجابني)

ذهبنا معًا إلى الداخل، وما أن وصلنا إلى القصر حتى أمرت الخادم سميث بأن يصحب ضيفنا إلى غرفته ويلبي له جميع أوامره.

_والآن أخبروني يا رفاق.. كيف كان آدائي؟! (سألت سابت وفريتز)

_ ممتاز كالعادة! حاول الاستمرار في ذلك قدر ما أمكنك أن تفعل. (أجابنى فريتز)

_ حسنًا سأحاول. والآن ما هي خطوتنا القادمة؟ (تساءلت)

_ الصمود حتى حلول موعد حفل المساء. (أجابني فريتز بتلقائية)

_ أو بالأحرى إلى أن نجد طريقة ما لاستعادة الملك..! (مقاطعة من سابت) ..الذى لم ينفك يفكر فيما إن كانت خطتنا لاستدراج روبرت ستنجح أم لا! وعندها تذكَّرت أمرًا هام؛ فأسرعت بحديثي إلى سابت طلبًا ما يلى..

_ أعتقد أنَّه ينبغي علينا إبلاغ المارشال ستراكنتز بأن الملك يلحظ شيئًا ما غريبًا في تصرفاته، و أنه سوف يتم معاقبته إن استمر في فعل ذلك! فلربما يجبره هذا التحذير على الكفّ عن ملاحقتي.

_ أو يدفعه للبحث عن طريقة أخرى للتجسُّس عليك، وإن كان باستطاعتنا الآن التصدي له وتجنبه؛ فلا ندرى ما إن كنا سنتمكن من فعل ذلك فيما بعد أم لا..؟! (قاطعني فريتز)، ومن ثمَّ قال سابت مؤيدًا لرأيه:

_ أصبت يا فريتز! فشخص ذكي مثل المارشال لا يجب أن نشعره بأنه قد كشف أمره؛ و إنما يكفينا فقط الاحتراس منه. فالقاعدة العسكرية الأهم لدينا خلال

الحرب تقتضي بموجبها أن ننتبه في تعاملنا مع الخصم، وألا نجعله يشعر بأننا على علم بما يفكر. وإلَّا فسيحاول العثور على طريقة أخرى تمكنه من الاحتيال علينا.

_ حسنًا لا بأس بذلك! فعلى أيَّة حالٍ لم يبقى أمامنا الكثير قبل حلول موعد حفل المساء، وآمل بأن تجري الأمور على ما يرام؛ حتى مُضيّ تلك الساعات القليلة المتبقية. (عقبت على حديثهما).

الفصل السادس

"لقاءٌ غير متوقّع . . !"

أمام أنظار الأميرة فلافيا التي تلحقني بين الحين والآخر؛ لم أدرِ ماذا علي أن أفعل! أظن أنها على وشك أن تكشف أمري؛ فأنا لم أكن يومًا ذلك الملك الذي لم تلحظ الأميرة اختلاف ملامحه الدقيقه للغاية.

ما كان ينبغي علي أن أسمح لسابت بأن يتركني هنا بمفردي، والآن كيف سأتعامل مع هذا الوضع؟!

وبينما كنت أفكِّر فيما سأفعل!؛ إذ بسيدة شابة جميلة للغاية تتقدم باتجاهى، والتي اعتقدت في البداية أنها فرنسية الجنسية كما بدا لي من تلك الملامح التي تشبههم إلى حدٍّ كبير، ولكن تبيَّن لي فيما بعد أنها سفيرة لدولة (ميليندا) ..وهى دولة تقع في أواسط قارة أوروبا.

وما أن وصلت تلك السفيرة إلى المكان حيث كنت أقف؛ حتى دار بيننا الحوار التالي الذي بدأته بقولها لى:

_ مرحبًا أيُّها الملك رودولف، سررت كثيرا بلقائك للمرَّة الثانية.

فقلت لها:

_ مرحبًا بك يا سيدتى! سررت بقبولكِ دعوتي الخاصة.

حاولت التظاهر بأنني أعلم من تكون، ولكن يبدو أنني لم أفلح في هذا؛ فإذا بها تقول لي:

_ لا عليك، أعلم أنَّه من الصعب تذكّر كل من تقابله، فلابد أنك تقابل الكثيرين بين الحين والآخر، ولن تستطع تذكُّر الجميع.

فقلت محاولًا أن ألاطفها:

_ ولكن ليس جميعهم بتلك الأناقة؛ لكى يتعسر علي تذكرهم. صحيح؟!

حالفني الحظ في تلك المحاولة، بأن قالت لي:

_ أشكرك كثيرًا أيُّها الملك، هذا لُطفٌ كبيرٌ منك.

لاحظت خلال ذلك الوقت الذي قضيته برفقة (السفيرة لورا)؛ كيف كانت الأميرة تتبعنا بناظريها على مقربة وتحاول الاستماع لحديثنا!

وما لبثت أن تقدَّمت نحونا مسرعة؛ عقب سماعها طلب السفيرة أن تشاركني رقصة الـ"سلو" التي بدأت للتوّ.

يا إلهي..! بدأت أشعر كثيرًا بالتوتُّر، وقد أوشكت على قبول دعوة السفيرة لورا قبل أن تقاطعني الأميرة بطلبها مني أن أشاركها رقصتها.

حسنًا، ماذا كان الملك الحقيقي ليفعل في مثل هذا الموقف؛ أسيقبل دعوة قريبته الأميرة أم ضيفته السفيرة؟!

أظن البروتوكول يمنح الأولوية للضيفة التي سبقت بالطلب! (قلت فى نفسى)

حتى إن كان غير ذلك، فليس بإمكاني قبول دعوة الأميرة فلافيا؛ بالكاد أستطيع النظر إلى عينيها تلك التي تملؤهما الحيرة والشك، فتجرأت وقلت لها:

_ أعتذر منك أيَّتها الأميرة، فقد كنت على وشك أن أشارك السفيرة رقصتها.

ثمَّ تبسمت، وأعرضت عنها مصطحبًا السفيرة إلى ساحة الرقص، ومن ثمَّ بدأنا رقصتنا.

أثناء ذلك رأيت كيف كان فريتز يقف هناك بالجوار ويبتسم، ويشير لي بإصبعه بأنني قد أحسنت صنعًا، فأومأت له برأسي وشعرت أن القلق بداخلي قد بدأ يتراجع شيئًا فشيئًا؛ حتى استمعت لحديث السفيرة لورا إلي خلال رقصتنا، وما لبث أن عاد القلق يحتضنني بقوَّةٍ من جديد؛ عندما قالت لي:

_ أوَتعلم أيُّها الملك، أراك مختلفًا قليلًا عن ذي قبل..؟!

_ معذرةً..؟! (تساءلت بقلق)

_ربما أنني لا أعرفك جيِّدًا، ولكن تبدو وكأنك شخص آخر لديه فقط الوجه نفسه الذي قابلته في المرَّة السابقة..! (أجابتني).

بضحكة مصطنعه أخفيت بها عما بداخلي؛ قلت لها:

_ تقولين هذا ولا تعرفينني جيدًا؛ فماذا إذًا لو عرفتني؟!

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى انتهت فقرة الرقص، ومن ثمَّ استأذنت السفيرة بالذهاب قاصدًا دورة المياة؛ إلَّا أنني سرعان ما توجَّهت نحو غرفة الملك، ولاحظ فريتز ذلك فلحق بي إلى هناك، وقبل أن يتفوَّه بأى شيءٍ قاطعته قائلًا:

_ لا أظن بإمكانى الاستمرار في هذا؛ فلم أخاله قط بالأمر الصعب إخفاء هويتى عن السيدات..!

وعندها أعدت عليه ما قالته لي السفيرة، فقال لى محاولا تهدئتى:

_ حسنًا لا بأس. فلتهدأ قليلًا من فضلك، سيصل سابت إلى هنا عما قريب ومعه أخبار جيِّدة. (أخبرني فريتز)

_ أرجو ذلك..! (أجبته)

ثمَّ تحدَّثت إلى نفسي بتريّث:

_ لا أود إنهاء مهمتي لكي أعود من حيث أتيت؛ و إنما أتوق شوقا لمشاركة الأميرة هذه الرقصة بصفتى رودولف راسندل، وليس ألفبرج..!

قال فريتز:

_ علينا أن نعود الآن إلى الحفل؛ فأنت تدرك أن غياب الملك عن مدعويه ليس لائقا.

_ حسنًا. ولكن أودّ منك أن تكون بالجوار؛ لتساعدني متى تطلَّب الأمر. (طلبت منه)

_ لك هذا، فلنذهب إذًا. (أجابني فريتز)

ثم ذهبنا إلى هناك مجدَّدًا، وتابعت استقبالي كافة الحضورواستضافتهم كما لو كان الملك سيفعل؛ حتى انتهاء تلك الليلة الحافلة بالمغامرات.

وأخيرا مضت ليلتنا بسلام؛ فأخذت نفسًا عميقًا و أنا أهنئ نفسي باجتيازهذه المرحلة بنجاح إلى حدٍّ ما، وشاركني فريتزفرحتي أيضا؛ بينما ظل سابت بالجوارولم يتفوَّه بكلمة واحدة طوال الليل؛ فبدأت حديثي إليه بسؤاله عما يجول بخاطره، فكانت إجابته لي كالتالى:

_ أرى بأن كافة جهودنا قد راحت سدًا؛ فنحن لم نحقق ما نرمي إليه وراء كل ذلك.

وبالرغم أن كلامه كان يحمل معنى يشيرإلى أنني لم أختطف بعد؛ إلَّا أنني قد تفهمت ما كان يعنيه بهذا الحديث، وقد و افقته فى الرأي أيضا.

فلم يظهرروبرت كما توقعنا بأنه سيفعل، ولذا فقد أمرسابت جنوده بالعودة إلى مو اقعهم؛ بعدما لم تجدى كافة استعدادتهم للمواجهة نفعًا في غياب عدوّنا اللدود..!

_ حسنا، وماذا الآن؟ (سؤال طرحه علينا فريتز)

_ لا أدري، فقد نفذت جميع أفكاري. (أجبته)، ثم توجهت بسؤالى إلى سابت:

_ماذا عنك؟!، تُرى هل لديك المزيد بعد من الأفكار؟ (سألت سابت)

_ حتى ولولم يكن لديّ الآن؛ فلابد من وجود طريقة ما، وسأصل إليها عما قريب. (أجابني سابت بعصبية)

صوت طرق على الباب

ذهب فريتز لينظر مَن بالخارج، ثمَّ عاد ومعه خطابًا أخبرني بأنه موجهًا من قصر الأميرة فلافيا إلى الملك رودولف، ثمَّ أعطاه لي وقال:

_ تفحَّص ما به.

فبدأت أقرأ ما به حتى انتهيت، ومن ثم أخبرتهم بما يحتويه؛ فقد كان خطابًا أرسلته إلي الأميرة تدعوني به لتناول الغداء برفقتها بعد فى يوم غد.

فريتز:

_ آمل أنها لا تزال تحسبك الملك رودولف؛ وإلَّا فسيكون الوضع حرجًا للغاية.

_ لا عليك، فهي تقول بأنها تودُّ أن تشاركني طعامي المفضّل أو_ بالأحرى_ هي تقصد الطعام المفضَّل لدى الملك؛ وهي أكله تسمى البامبو. (أوضحت له)

صرخ فريتز متعجّبًا:

_ ماذا؟ البامبو..؟!

فقلت له:

_ نعم، وماذا إذًا؟!

فقال لى:

_ هذا ما كنت أخشاه، الأميرة فلافيا تشكّ بك حقا.

_ ولمَ..؟! (سألته)

أوضح سابت:

_ لدى الملك حساسية تجاه طعام البامبو، وما كان ليو افق قط على تناوله.

تساءلت بدهشة:

_ وهل تعلم الأميرة بشأن ذلك؟

_ لست متأكدًا من هذا، ولكن إن كنت محقًا فيما أفكِّر؛ فأظن أنَّه فخ أعدَّته الأميرة للإيقاع بك، ولكن فلتسترح قليلًا الآن. أخشى بأن الغد يحمل إليك المزيد من المتاعب. (أوضح سابت)

(في صباح اليوم التالي..)

استيقظت من النوم على صوت طرق على باب غرفتي، فأذنت له بالدخول واعتقدت أنَّه الخادم سميث؛ إلَّا أنني صعقت برؤية من قد أتى لزيارتي في الصباح الباكر!

لقد كان السيد جينيفر، وقد بدأ يتحدَّث إليَّ قائلًا:

_يا لك من ملك كسول..!، ألا تعلم كم أصبحت الساعة الآن؟، ثم تابع:

لقد مضى بالفعل ستة أشهر على كونك ملك لدولتك، ولكنني أظنك لم تعتَد بعد على مثل تلك الحفلات، أليس كذلك؟

_ بلى أنت محق؛ فلا زلت أعاني من إرهاق ما ألاقيه فى هذا النوع من الحفلات الملَكيَّة. (أجبته)

_حسنًا، فلتنهض الآن من سريرك، ولتستعد لاصطحابى في جولة عبر أرجاء مدينتك الجميلة، ما رأيك؟ (عرض عليَّ جينيفر على غير المألوف فى مثل تلك الأحوال)

_ لا بأس بهذا، أظنها فكرة جيِّدة. (أجبته بالقبول)

_ حسنا، سأكون بانتظارك في الأسفل. (عقَّب جينيفر)

_ يا إلهي..! بالكاد أستطيع أن أفتح عيناي لأرى من يحادثني؛ فأنَّى يمكنني مرافقته طوال اليوم..؟! (حدَّثت نفسي)

نهضت من فراشي وذهبت للاستحمام، ومن ثمَّ بدلت ثيابي وذهبت إلى الأسفل حيث عثرت عليه بانتظاري برفقة المارشال ستراكنتز.

حدثني حينئذ السيد جينيفر عن آخر رحلة قمنا بها معًا منذ عدَّة سنوات، وسألني ما إن كنت أتذكر ذلك أم لا!

لحظت كيف كان المارشال ينتظر إجابتي، وكأنه من طلب من جينيفر سؤالي عن هذا أو شيء من ذاك القبيل؛ كما شعرت من تلك النظرات التي يرمقني بها بين الحين والآخر.

وعندها أجبته بأنني لا زلت أعاني من إرهاق الليلة الماضية؛ فلا يمكنني التركيز لتذكر شيءٍ ما.

_ إذًا ماذا بشأن جولتنا، أسننطلق الآن أم ماذا؟ (تساءل جينيفر)

وجدتها فرصة جيِّدة لقلب الطاولة إلى صالحي، فقلت له:

_ معذرة يا صديقي! فلا أظن بإمكاني الخروج في هذه الحال، أظن بأنى سأعود إلى إلى الفراش مجددا وآخذ قسطا من الراحة، ولكن _لحسن الحظ_ أنك قد عثرت على رفيق لك في جولتك حول المدينة! أرى بأن المارشال ستراكنتز هو خيار موفق لاصطحابك معه وحمايتك في آنٍ واحد، فما رأيك؟

_لا بأس بهذا، فلنذهب الآن أيها المارشال. (أجاب جينيفر على الفور)

ذهب جينيفر مصطحبًا معه المارشال الذي اعترت وجهه قبيل علامات الغضب.

وما لبثت أن عدت إلى الغرفة؛ فنزعت عني تلك الثياب المزعجة، وألقيت بها على السرير ثمَّ استلقيت بجوارها. وما أن أغمضت عيناي حتى استفقت فزعًا على صوت طرق على الباب مجدَّدًا، فسألت عمن يوجد بالخارج، وأجاب الطارق بأنه سابت.

فأذنت له بالدخول، ومن ثمَّ قلت بتوتر:

_ علينا أن نتصرَّف بشأن ما يجري قبل أن يكشف أمرنا.

_ ماذا تقصد؟ (سألنى سابت)

_ أقصد ذاك المارشال ستراكنتز مع نظراته القديمة تلك التي عاد يرمقني بها مجددًا. (أجبته بعصبية)

_ أظنه يلحظ محاولاتي المتكررة للتهرب من مجالسة السيد جينيفر. (قلت لسابت)، ومن ثم ألقيت عليه بسؤالى عما سنفعل؟!؛ فحصلت على نفس تلك الإجابة التى اعتدت على سماعها منه؛ إذ قال لى مجددا:

_ لا تقلق، سأتولى أمر ذلك.

_ لا أظنك تستطيع هذه المرَّة. (قاطعه فريتز الذي وصل للتوّ)، ثمَّ تابع:

_ لقد أخبرني المارشال بأنه يرى الملك ليس في حالته الطبيعية، إذ يلحظ وجود اضطراب ما في معاملاته مع بعض الأشخاص ممن يعرفهم، وعلى لسانه فقد قال: "أرى بأن الملك قد عاد لما كان عليه قبل عدة أشهر، فهو لا يحسن معاملاته الرسمية؛ إلَّا أنَّه شجاع متى تطلَّب الأمر!".

عندئذ تنهَّد فريتز قليلًا، ثمَّ استأنف حديثه إلينا قائلا:

_ سمعت بمثل يقول.. "كلّ الطرق تؤدي إلى روما!"، وعلى غرار تلك المقولة أرى بأنه قد تجمَّع لدينا وفرة ممن يشكِّكون في هويَّة الملك، وأخشى أنهم قد صاروا بالفعل في طريقهم نحو بلوغ مقصدهم.

والآن يتحتَّم علينا تكريث ما نمتلكه من التفكير في طريقةٍ ما لاستعادة نسختنا الحقيقة، فمتى تمكن المارشال من الحصول على دليلٍ وافٍ على صحة ادِّعائه؛ فلن يتمكن أحد ما من إيقافه أو_بالأحرى_ منعه من اعتقال راسندل. (أشار فريتز بحديثه إلي)

فعقَّب سابت عليه قائلًا:

_ لابد وأن هناك طريقة ما لإصلاح كلّ هذا.

_ ولكن كيف؟؛ فليس لدينا دليل يوصلنا إلى سبانر حتى الآن. (تساءل فريتز)

فقاطعتهما قائلا:

_ حسنًا، يمكنني تجنب الصدام مع المارشال في الفترة المقبلة، وسأعمل على وجود مسافة كافية في التعامل بينى وبين جينيفر قدرالإمكان؛ فلربما توقف المارشال عن مر اقبتي، فيمنحنا بذلك المزيد من الوقت للتفكيرفيما يجب أن نفعل لاستعادة الملك.

_ فلتحاول إذًا، وسأساعدك بإبقائه بعيدًا عن المكان الذى تتواجد به قدر المستطاع. (عقب فريتز)

توالت الأحداث بعد ذلك حتى بلوغ منتصف النهارقُبَيل الساعه الثالثة عصرًا، وقد عاد السيد جينيفرمسبقًا في الواحدة ظهرًا؛ فاستمريت منذ ذلك الوقت في التظاهربأنني على علم بكلّ تلك القصص التي يرويها لى عن صداقته مع الملك والأحداث التي درات بينهما فيما مضى عندما كان برفقته في الخارج.

وأمام أنظارالمارشال واجهت العديد من الصعوبات في مجاراة جينيفر، وتوخيت الحذرعلى القدرِالكافِ لأجتازبه تلك الساعتين المتبقيتين قبل حلول موعد تناول الوجبة التالية للسيد جينيفر؛ كما قال بأنه سيفعل.

عندها _وأخيرًا_ تمكَّنت من الحصول على وقت استقطاع أستعيد به طاقتي التي استنزفتها في حديثي معه؛ فذهبت إلى الغرفة لآخذ قسطا من الراحة.

ولكن كالعادة؛ فما لبثت أن وضعت رأسي على وسادتى حتى صدرذلك الصوت المألوف من جديد مع تلك الطرقات على باب الغرفة، فعلمت على الفورمن يوجد

بالخارج، فتلك الطرقات ليست كغيرها وليس لها مثيل؛ إذ تشبه تردُّد صوت معيّن يُذاع فقط من محطة سابت..!

_ تفضل بالدخول أيها العقيد. (أجبت على ذاك الصوت)

فأسرع سابت بالدخول إلى الغرفة، وبدا متوترًا وهو يسألني:

_ أكلّ شيءٍ على ما يرام؟

_ نعم! لا داعي للقلق؛ فقد ذهب السيد جينيفر لتناول وجبته حسب الموعد المحدد، وقد أتممت مهمتي بقضاء تلك الساعتين برفقته؛ كما طلبت مني أن أفعل لحين عودتك. ولكن مع غياب فريتز الذي لم أعلم إلى أين ذهب؛ فقد واجهت صعوبة بالغة بوجود المارشال الذى ظل برفقتنا طوال الوقت. (أجبته)

_ أعتذر كثيرًا عن هذا! فقد ذهبت إلى قصر الأميرة فلافيا بناءً على أوامر سابت؛ لأبلغها اعتذار الملك عن عدم زيارتها بسبب مشغولياته في القصر، ولكنني لم أجدها هناك، وقد أخبرني الحارس أنها بالفعل في طريقها إلى هنا الآن. (قاطعنا فريتز الذى وصل لتوّه).

وسرعان ما سمعنا صوت طرق على الباب؛ فذهب فريتز ليرى من بالخارج!، ثمَّ عاد مسرعًا وأخبرنا بأن الخادم يقول أن الأميرة فلافيا قد وصلت بالأسفل برفقة المارشال ستراكنتز.

عندها نظرت إلى سابت وخشيت أن ما أفكّر فيه صحيح، إلَّا أنَّه عقَّب على تلك النظرة قائلًا:

_ لا تقلق، فالمارشال هو رجل عسكري؛ لذا فهو يعلم جيّدًا عقوبة ادعائه بأنك لست الملك الحقيقي دون وجود دليل قاطع على ما يقول، وهو لن يجازف بفعل ذلك دون الحصول عليه أولًا.

_ وماذا إن فعل؟! (تساءل فريتز)

_ عندها سنرى ما الذي بإمكاننا أن نفعل! (أجاب سابت بحدة)، ثم تابع: ولكن الغريب هو أن تأتي الأميرة إلى هنا بصحبته؛ فهذا لم يحدث من قبل.

_ لنذهب إذًا ونحصل على الجواب، فعلى أيّة حالٍ نحن لا نملك خيارًا آخر! (قلت بتوتُّر)، ثم ذهبنا جميعًا إلى حجرة الاستقبال حيث كانت الأميرة بانتظارنا؛ وعندما وصلت ألقيت عليها التحية، ثمَّ مددت يدي فسلمت عليها وقلت:

_ معذرةً أيَّتها الأميرة؛ فلم أعلم بأنكِ ستأتين لكي أكون بانتظاركِ.

_ لا عليك أيها الملك، ولكنني ظننت أنك ستأتي لزيارتي بالأمس؛ كما طلبت منك أن تفعل، ولكن يبدو أن الملك صارينسى كثيرًا هذه الأيام..! (أجابت الأميرة بمكر)

عندها أسرع سابت لنجدتي، بأن قاطعنا قائلًا:

_ معذرة أيتها الأميرة؛ فقد انشغل الملك قليلًا مع صديقه السيد جينيفر الذى وصل إلى البلدة مؤخرًا في يوم أمس.

_ نعم، وكنت قد ذهبت إلى قصر أميرتي بالفعل لأخبرك بهذا بناءً على أوامر الملك. (عقَّب فريتز على كلام سابت)

_ ولكنني لا أظنك بحاجة للمارشال ستراكنتز لكي تأتي لزيارتي، أليس كذلك؟

تساءلت بمكر و أنا أنظر بحدَّة إلى عيني المارشال؛ الذي سرعان ما نظر إلي وقال: لم آتِ إلى هنا بصحبة الأميرة يا سيدي؛ و إنما جئت لأبلغ سيادتكم بأن السيد جينيفر ينتظرك في غرفة الضيافة، أستأذنك بالذهاب..؟

أذنت له فذهب على الفور؛ وعندها بدأت ألتقط أنفاسي ببطء، ومن ثمَّ همس سابت في أذني وأشار علي بقضاء الوقت مع الأميرة فلافيا والسيد جينيفر كليهما؛ فقد يمنحني هذا مسافة كافية في التعامل معه كصديق، وأستطيع التصرُّف بشيء من الرسمية في حضور الأميرة، فو افقته على ذلك.

ومن ثم ذهبنا جميعا إلى غرفة الضيافة، و اكتمل جمعنا بضيفٍ آخر يبدو أنَّه كان مُصرًّا على كشف حقيقتي، و أتمنى بألَّا ينجح في هذا!

نعم إنَّه المارشال مرَّة أخرى! لقد كان بانتظارنا هناك بصحبة السيد جينيفر؛ فعلمت الآن لما ذهب مسرعًا منذ قليل؛ بالطبع لكي يأتي وينتظرنا هنا.

داربيني وبين جينيفر حوار آخر دام لمدة ساعتين على أقل تقدير، ولحسن الحظ؛ فقد كان هذا هو حواري الأخير معه؛ إذ علمت فيما بعد أنه سيغادر البلدة في الصباح الباكر.

وها قد انتهينا الآن، وحان الوقت لكي أعود مجدَّدًا إلى القصر ونباشر عملنا لاستعادة المفقود، ولكن إلى متى يمكنني الاستمرار في ذلك؟!، أظن علينا فعل شيئًا ما حيال هذا الأمر. (قلت بعصبية)

_ بمَ تفكِّر يا راسندل؟! (تساءل سابت)

_ أفكر بأنَّ السماء لا تُمطر ذهبًا ولا فضة! فإن أردنا إصلاح جميع تلك الأحوال؛ فلا مزيد بعد من الوقوف هكذا مكتوفي الأيدي. (أجبته)، ومن ثمَّ عقَّب فريتز قائلًا:

_ ولكن ماذا لدينا لنفعله؟، فنحن لم نعرف بعد عن المكان حيث يحتفظ سبانر بالملك بعد فراره من قصر الجبل، ولا نملك أيَّة معلومات تمكِّننا من إعداد خطة للهجوم عليه.

عندئذ استدرت نحو الغرب باتجاه ذلك الجسر، وتساءلت في نفسي بصوتٍ منخفض:

_ أين أنتِ يا ديفيلن؟، لما تأخرتي كل ذلك الوقت؟

بعدها تابعنا في طريقنا إلى القصر، و أثناء ذلك؛ صادف لقاءنا بأحد جنود سابت الذى جاء ليخطرنا بأن هناك سيدة محترمة تنتظر الملك في القصر، وتود لقائه للضرورة.

(روز في قصر ملك روريتانيا...)

كان هذا في غضون يومين على الأكثر من زيارة ديفيلن لقصر بيرلسدون؛ فقد أخبرت روز شقيقي بأنها ستذهب لحضور حفل زفاف إحدى صديقاتها في دولة روريتانيا، وها هي ذا الآن قد أتت تطلب مقابلة الملك، والذي بدوره سيكون أنا!

تُرى ماذا سأفعل؟! ..(هذا ما سأحدثكم عنه الآن).

لقد صدمت برؤية روز في حجرة الاستقبال حيث أخبرني الخادم أنها بانتظارى هناك، وعندما ذهبت إلى الداخل جل ما داربذهني آنذاك أنها هنا من أجل راسندل، وليس الملك الحقيقي!

لاحظ فريتز تلك التعبيرات على وجهي فحاول مساعدتي، وبالفعل لقد نجح في ذلك دون أن يشعر بسؤاله لي:

_ أهناك خطب ما أيها الملك؟!

_لا، لا شيء على الإطلاق. (أجبته بتوتر).

بدأت ألتقط أنفاسي ببطء شديد عندما انحنت أمامي روز، وبدأت حديثها إلي بطريقة رسمية لم أعتد عليها من قبل؛ عندما كنت ذلك الشخص الذي تعرفه.

لقد كان هذا الموقف حافلًا بالنسبة إلي، فقد اعتدت رؤيتها تتحدَّث فقط بتلك الطريقة بوجود أحد الحاضرين بصفة رسمية إلى قصر بيرلسدون، ولكن لم تتسنى لي فرصة كهذه من قبل لأجعلها تتحدَّث إلي على هذا النحو..!

رددت عليها التحية، وقد لاحظت تلك الطريقة التي تنظر بها إلي؛ إذ كانت تتفحصني جيّدًا ولكنني لم أعيرها انتباهي.

والآن لم أكن قلقًا بشأن هذا؛ فقد بدت وكأنها تعلم آنفًا بهذا الشبه الكبير بيني وبين الملك رودولف.

فأخذت تعرفني بنفسها، ولكن الغريب في الأمر ادعاءها بأن اسمها هو (ديرون)؛ وأنها هنا لمقابلة الملك شخصيًّا من أجل أمرٍ ما في غاية الأهمية؛ فقالت لي:

_ أنا هنا لتسليم تلك الرسالة إليك، فقد أعطاني إيَّاها شخصٌ تعرفه جيدا، وقال بأن وصول تلك الرسالة إليك يتعلق به حياة شخصٍ ما على المَحَكّ.

فتعجَّبت قائلًا:

_ ومن أعطاكِ تلك الرسالة؟!

فقالت لي بحزمٍ شديد:

_ معذرةً أيُّها الملك؛ فقد انتهى عملى هنا، ويجب أن أغادرالآن على الفور.

وددت لو أنها ستفعل في أسرع وقت!؛ فلم أرد مناقشتها في الأمر، وما لبثت أن سمحت لها بالذهاب، وطلبت من فريتزمر افقتها إلى الخارج وأن يرسل معها اثنين من الحراس يتولون حمايتها إلى أن تصل بسلام إلى محطة القطار.

فقالت لي:

_ أُقدِّرلك هذا أيها الملك! ولكن لا داعي لذلك؛ فأنا أعلم طريقي جيِّدًا.

فقلت لها:

_ حسنًا يا سيدتي، كما تشائين.

لن أنكربأن هذا كان أسوأ جزء مررت به على الإطلاق، واضطررت به لتمثيل دور الملك أمام أحدهم.

فما أن خرجت روزمن القصرحتى أسرعت بحديثي إلى فريتزبأن ينفِّذ ما طلبته منه على الفور، ويرسل خلفها من الحراس من يتابعها حتى تصل إلى محطة القطار وتغادرروريتانيا آمنة.

وما إن فعل حتى استلقيت إلى المقعد منهكًا، وقد كنت أتنفَّس بصعوبة بالغة، فسألنى سابت:

_ أخبرني إذًا؛ مَن تكون تلك السيدة؟

عندئذ أخبرته بحقيقة من تكون بالنسبة لي.

فسألني سابت:

_ تُرى ما الذي قد أتى بها إلى هنا إذًا؟، وما الذي تحويه تلك الرسالة؟، وعن أيّ شخصٍ كانت تتحدَّث؟!

_ جميع تلك الأجوبة يجب أن تكون هنا. (أجبته و أنا أنظر إلى تلك الرسالة في يدى)، ومن ثم فتحتها وتابعت قراءة ما كُتب بداخلها، وما انتهيت من قراءتها؛ حتى علقت عليها بصوت مضطرب للغاية قائلا:

_ يا إلهي! تلك الرسالة قد أرسلتها إلينا ديفلين لتخبرنا بها عن المكان حيث أخذهم إليه سبانر؛ وهو يقع شمال أوروبا على حدودها مع إنجلترا على ضفة النهر.

_وأخيرا، يا له من خبر رائع! (عقب سابت وقد انتزع الرسالة من يدى)، ثم تابع:

الآن لم نعد بحاجة لانتظار هجومهم التالي، و إنما سنمضي قدمًا في طريقنا لتسلُّم دورنا في الهجوم. (قال سابت بحزمٍ وثقة)

(لاحقًا في تلك الليلة..)

قضيت ليلتي بأكملها أفكِّر بما حدث في ذلك اليوم، وما الذي ينتظرنى بحلول يوم غد؟!

فماذا لو أن روزكانت تعلم حقًا بحقيقتى، ولم ترد الإفصاح عن هذا!، ماذا لو أنها قد أُجبرت على المجئ إلى هنا؟، وتُرى كيف تمكنت ديفيلن من الوصول إليها،

و إقناعها بتسليمي تلك الرسالة؟؛ وإن كان هذا ما حدث، فهل أخبرتها كذلك بما أنا عليه وما أنا هنا من أجله، أم أن الملك رودولف لم يخبرها بعد بحقيقة الاستبدال الذي جرى بيننا في تلك الليلة؟ (الكثير من التساؤلات لدى لم أستطع معرفة أجوبتها).

فتابعت حديثي مع نفسي قائلا:

_لا يهم كل هذا الآن، فكل ما عليَّ فعله هو الوصول إلى سبانرو وتحرير الملك، ومن ثم القضاء على كافة أفراد تلك العصابة بأكملهم إلى الأبد، فلا مجال لديَّ للفشل هذه المرة؛ فقد بات الأمر متعلقًا بعائلتي الآن!

وإن استطاعت ديفيلن الوصول إلى قصر بيرلسدون، وبطريقه أو بأخرى تمكَّنت من إقناع روزبالمجيء إلى هنا وتوصيل تلك الرسالة إلي؛ فهذا يعني أن سبانر كذلك ليس ببعيد، وسيكون أخي وزوجته في خطر دامس ما إن أدرك أنني قد قمت بخداعه، وبتُّ أعلم بشأن ما يخطط من أجله.

لاسيما روبرت اللعين ذاك؛ فهو لن يتردَّد في تهديد عائلتي، وسيوَدّ فعل هذا بكلّ سرورٍ من أجل الوصول إلي وقتلي..!

علي أن أُسرع الآن، فلم يعد هناك المزيد من الوقت بعد لإهداره، وقبل أن يتمكَّن سبانر من تنفيذ خطته للإيقاع بأحدنا تلوَ الآخر؛ يجب علينا الوصول إليه وقتله.

الفصل السابع

"تاريخ الملوك"

(في صباح اليوم التالي...)

أثناء تناولي طعام الإفطار، ويقف بجواري ناحية الخلف (الخادم سميث) كعادته؛ إذ بسابت يأتي مع فريتز إلى القصر، وقد ألقى علي تحيته العسكرية، فقلت له:

_ ماذا هناك أيُّها العقيد سابت؟ لما أتيت باكرًا هكذا اليوم؟

أجابني:

_ أستمحيك عذرًا أيُّها الملك؛ فقد تلقيت خطابًا منذ قليل يستلزم من سيادتكم الاطلاع عليه على الفور.

_ حسنًا، لا بأس بذلك.

أجبته، ومن ثمَّ طلبت من الخادم سميث الانصراف وأن يحضر لنا ثلاثة أكوابٍ من القهوة إلى غرفة المكتب، ومن ثم ذهبنا معًا إلى هناك ودار بيننا الحوار التالي.

فقال سابت:

_ استمع إلي جيّدًا يا راسندل. لقد أُصدر فرمانًا من المملكة العظمى يقتضى بموجبه اجتماع ملوك دول (الأتيفانا)؛ ولذا فيتوجب عليك الذهاب لحضوره بصفتك ملك دولة روريتانيا.

وبعد مناقشات طويلة وجدالات لم نجد خلالها مجالًا للتراجع عن فعل هذا؛ انتهينا بمو افقتي على الذهاب إلى الاجتماع، فتساءلت:

_ ومتى سأعود من هناك إذًا..؟

فأجابني سابت:

_ سيتطلب الأمر أسبوعًا على الأكثر بداية من مغادرتك البلدة؛ وحتى عودتك إليها مجدَّدًا.

_ والآن صار الخبر في طريقه إلى سبانر، وسيصل إليه عمَّا قريب. (قال سابت بمكر وهو ينظر نحو الباب)؛ فعقَّبت قائلًا:

_ نعم، تمامًا كما خططنا لكى يحدث.

_ مهلًا لحظة، ما الذي يجرى!!، عن أيّ شيء تتحدَّثون؟! (تساءل فريتز بتعجب)

_ ألم تخبره بعد أيُّها العقيد؟! (سألت سابت بوجهٍ تعلوه ابتسامة صفراء)، وقد عقَّب عليها فريتز بسؤاله الحائر مجددا:

_ يخبرني بماذا؟!

عندها بدأ سابت يقصّ عليه المخطط الذي أعدَدنا في يوم أمس بعد تلقّينا ذاك الخطاب من ديفيلن بمساعدة روز؛ وقد بدأ سابت حديثه إليه قائلًا:

_ سألني راسندل عن الخادم سوان عند وصوله إلى القصر؛ وقد أخبرته بأنه أصيب بطلق ناري في الليلة التي أُختطف بها، ولكن في تلك الليلة لم يدخل إلى القصر من رجال سبانرسوى أربعة رجال فقط.

_ نعم، أعلم ذلك! فقد قال أحد الحراس بأنهم كانوا أربعة رجال تسللوا من الخلف في جنح الظلام. (أجاب فريتز)

_ حسنًا، وإن كان أحدهم قد قتله الحارس؛ فكم يتبقى لدينا عندئذ؟ (سأله سابت)

_ بالطبع ثلاثة..!! (أجاب فريتزمتعجبًا)، ولم يفهم بعد ما يرمي إليه سابت بحديثه؛ فتسلَّمت الحديث بدلا منه بسؤالي إليه:

_ وإن كان ثلاثتهم قاموا باختطافي بعد ذهابك للاختباء برفقة الملك عبرالباب السرّي؛ فمن إذًا الذي قتل سوان في ذلك الوقت؟!

_ لا تخبرني بأنه..! (عقَّب فريتزبعدما تفهم ما نرمى إليه متعجِّبًا)

_ بلى هذا صحيح، فلم يقتل سوان على يد أحد مجرمي سبانركما ظننا؛ و إنما تم قتله على يد صديقه سميث. (قاطعته مستكملا)

_ ولمَ عساه يفعل هذا؟ (تساءل فريتز)

_ ولمَ لا..؟ ألم تشك قط فى لحظة اقتحامهم للقصر في ذلك الوقت فور خروجي من هناك لإبلاغ الحراس بالتعليمات..؟!؛ فقد كان هذا هو الوقت المناسب لدخولهم، وقد أعطاهم سميث إشارة التحرُّك. (أجابه سابت)، ثم تابع:

_ لا شك أنَّه الآن في طريقهِ محاولًا الوصول إلى سبانر؛ لإبلاغه بما أردناه أن يفعل.

_ إذًا سأذهب على الفور و أبلغ المارشال بأن يعد جنوده في الصباح الباكر، وأن يكونوا على أهبة الاستعداد لخوض معركة دامية مع عدد كبير من مجرمي البلدة القدامى. (عقَّب فريتز)

فقلت له:

_ لا تنسى أن تخبره بضرورة التأكيد على جنوده أنهم سيقاتلون أشخاص مدرَّبين على نحو جيد للغاية، وعلى مستوى عال من المهارة في القتال مع السيف.

_ أصبت فى هذا يا راسندل! فالقاعدة العسكرية الأولى تقتضي بأن نكون على دراية و افية بقوَّة الخصم، فنقدرها بدقة بالغة؛ ومن ثم نستعد جيدا للتصدي لها والتغلب عليه. (عقَّب سابت)

_ حسنًا، والآن بقي لديَّ شيءٌ أخير أقوم به. (قلت لسابت)؛ ومن ثم ذهبت مسرعًا لالتقاط القلم من فوق المنضدة، ولم ألقِ بالًا لسؤاله لى بشأن ما أفكِّ!.

تبعني سابت و انتزع القلم من بين إصبعي؛ وكنت قد أوشكت على أن أخطّ به أحرفي الأولى لكتابة خطابٍ ما إلى أحدهم، فقلت له:

_ أعطنى إيَّاه من فضلك! فلا وقت لدينا لنضيّعه، أتذكُر ذلك؟

_ حسنًا سأفعل، ولكن يجب أن تخبرني أولًا بماذا تفكِّر؟ (عقَّب سابت)

فأجبته:

_ لقد تلقيت العديد من الرسائل منذ وصولي إلى هنا، والآن فقد حان دوري لإرسال خطابي الأوَّل إلى أحدهم.

_ ومن يكون إذا؟ (تساءل سابت)

_ إنها الآنسة ديرون! (أجبته)

_ ماذا؟! هل تعي جيدا ما الذي تقول؟! (قال سابت بحدَّة بالغة)

_ نعم بالطبع، فنحن بحاجة لمن يساعدنا في إنقاذ الملك رودولف، وأظن أن الوقت قد حان لتلقِّي بعض المساعدة من أخي.. (اللورد بيرلسدون).

_ إذًا فأنت تدرك تماما ما الذي يعنيه فعل هذا؟ (عقَّب سابت)

_ نعم، فقد أدركت مسبقًا أن الأوان قد فات، وليس هناك جدوى من الإختباء بعد الآن؛ فلم نعد بحاجة ذلك منذ لحظة وصول روز إلى هنا. (أجبته بحزم)

الآن وقد انتهيت من رسالتي إلى روز أطلب منها المساعدة وأخبرها بحقيقة ما يجري؛ كان علي أن أختتمها بشيءٍ ما لإثبات هويَّتي الحقيقية لها، فاختتمت رسالتى بأن قلت لها:

_ لديَّ شيئًا آخر أودُّ أن أخبربه الآنسة ديرون..! أفتقد كثيرًا كوب الحليب خاصتكِ الذي عانيتِ كثيرًا من تناوله مؤخَّرًا طوال الستة أشهر الماضية قبل ذهابى.

وما أن خطت بقلمي كلماتي الأخيرة إليها حتى طويت الخطاب ووضعته في ظرف، ثمَّ طلبت من فريتز أن يذهب لإرساله على الفور؛ فلم يبقَ أمامنا الكثير من الوقت قبل حلول يومِ غدٍ.

_ حسنًا، وماذا بعد؟! (سألني سابت)

_ ليس لديَّ المزيد، و إنما فقط شيء أخير أودُّ أن معرفته منك. (قلت لسابت)، ومن ثم استأنفت حديثي إليه بسؤالي له: لمَ يهدف سبانر في خطته للتخلُّص منك؛ قدر اهتمامه بالاستيلاء على حكم البلاد؟! (قلت لسابت)

_ ماذا تقصد؟ (سأل سابت)

_ أقصد ما كان يعنيه عندما قال بأنه يريدك من أجل تصفية دينه القديم معك! (أجبته بحزم)

_ وإن قال لك ذلك، فلم لم يخبرك بالسبب إذًا؟! (سألنى سابت بدهاء)

_ لقد قال بأنك ستفعل؛ فقط لو إنَّه قد نجح في الحصول عليك أيضًا!، والآن أخبرني ما السبب؟ (أجبته)

_ ألم تلحظ أن قبضته اليمنى قد بُترت، وما يحمله الآن هي فقط قبضة اصطناعية؟ (قال سابت)

_ بلى فعلت! لقد أخبرني بأنه فقدها عند محاولته سرقة صر افة العاصمة ستريلسو، ولكن ما علاقتك بهذا؟! (أجبته وسألته فى آن واحد)

_ لقد كان جينرال بيلارهو من فعل به هذا، والآن يريدني سبانر لتسوية الأمر معي. (أجاب سابت)

_ هكذا إذًا..! فقد كان الأمر كذلك يتعلق بتاريخه في روريتانيا، ولكن على إثر حديثنا عن الماضي.. أذكر بأنك قد قلت أن لديك ما تخبرنا به عندما كنا بالكوخ في ذلك اليوم التالي بعد عودتنا من وقر سبانر! (استفسرت من سابت)، ثم سألته:

تُرى هل كان الأمر يقتصر على السيدة هيلين، وما أخبر به راوني والدك عن قيامها بالتخلّي عن ديفيلن؟، أم أن هناك المزيد بعد لم يتسنى لك الوقت لكي تخبرنا به؟

عندئذ استدار سابت ينظر إلي بتريُّث، ومن ثمَّ بدأ حديثه ليخبرني عن أمور في غاية الغرابة لم تتاح لي الفرصة لكي أسمع بها من قبل..

فأخبرني أنه في ذلك الوقت عندما أدلى السيد راوني أمام الجينرال بأمر زواج هيلين السابق من الدكتور ويستون؛ فلم يبدي اهتمامًا كبيرًا لما سمع ولم يثر هذا جدلًا في نفسه أو الفضول لمعرفة المزيد، ولكن راوده من الشك في تلك الطريقة التي مات بها ويستون؛ ما أثار لديه العديد من التساؤلات التي لم يعثر لها على إجابه مرضية!

ولذا فقد قرر أن يبحث بنفسه في تاريخ عائلة (إيلاري) التي تنتمي إليها هيلين، وفي ذلك الوقت اكتشف الجينرال أمرًا هامًا أسدل به الستار عن حقيقتها؛ فقد علم أنها تنحدر من سلالة قبائل من صائدي كنوز اِشتهروا فيما مضى بالبحث خلف كنوز قومية تعود أصولها لدول عريقة أشهرهم دولة (رياندونس).

وقد نشبت بين كلتا الدولتين رياندونس وميلافيسكي حروب عدَّة لاسترداد كنوزهم؛ وقد نجحت في ذلك بالفعل، وتمَّ إلقاء القبض على زعماء قبائل إيلاري ومحاكمتهم، إلَّا أنهم اِحتفظوا بثروات طائلة لديهم إثر استيلائهم على بعض من تلك الكنوز.

ولكن انتهى بهم الأمر في السجون، فلم يتبقَّ منهم سوى القليل فقط من الناجين؛ إذ لم تثبت ضدهم أية أدلة قاطعة.

ومن والجدير بالذكر أن أحد أولئك الناجين كان السيد (مايرث) الجدّ الثاني لهيلين، والذي أخذت عنه الطباع العائلية ذاتها التي توارثت بينهم من أصول صائدي الكنوز.

_ ولكن ما علاقة ذلك بزواجها من الملك رودولف الرابع؟! (سألت سابت)

أجابني قائلًا:

_ خلف أسرار الكنوز والكتب التاريخية عن بلدان دارت بين شعوبها صراعات عدَّة حول أحد تلك الكنوز كانت إحدى الدول المتبارية هي دولة روريتانيا؛ وتعود أصول تلك المعركة إلى عهد الملك السابق (رودولف الأوَّل)، وقد لقب ب(الأرقط).

وهو الذي تولى حكم البلاد عقب انتهاء تلك الصراعات، وقيل إنَّه استولى على كنز روريتانيا و أبقى عليه في مكانٍ آمنٍ لم يعلمه أحد ما حتى وقتنا هذا!

ولذا توارثت عائلة ألفبرج حكم البلاد خلال كلّ تلك الفترة، وكذا فقد توارث ملوكها أسرار تاريخ تلك المعركة داخل الكتب الملكية؛ إلَّا أنَّه على مَرّ العصور سُرِق إحدى هذه الكتب ولم يعثر عليه أحد؛ إذ اختفى الكتاب مع حامله الذي عُثِر على

جثته فيما بعد ملقاة في (بحيرة الميزاويلي)، ومنذ ذلك الوقت لم نستدل على قاتله، ولم نعلم شيئًا بشأن ذاك الكتاب.

_ وتُرى هل كانت هيلين على علم بذلك الأمر؟ (سألت سابت)

_ لا أعلم شيئًا عن هذا، ولكن بقي فقط سرّوحيد يخصّ هذا الكتاب وقد أبقت عليه عائلة ألفبرج قديمًا لحين يخرج من بينهم من يستطيع العثورعليه، وإلى ذلك الحين فأن السرّسيظلّ مخبأ في إطارالملك الحاكم؛ كما قيل على لسان الأرقط قبل موته، وقد كتب ذلك أيضًا في كتاب الملوك الذي يحتفظ به الملك في خزانته. (أجاب سابت)

_ ولكن ما الذي عناه بقوله هذا؟ (تساءلت)

_ لا فائدة من الحديث عن ذلك الآن؛ فلدينا العديد بعد من أسرارالملوك التي لا يعرف بشأنها أحد. (أجاب سابت)

_ يا لها من أسطورة شيِّقة ذيعت في بلادكم! (عقَّبت على هذا).

_ لا أظن ذلك؛ فقد أخبرني بهذا التاريخ شخص ليس بصانع حكايات أويهوى اختلاق الأساطير. (قال سابت بحدة)

_ أعتذرعن هذا! ولكن إن صحَّ ما قيل عن ذاك الكتاب، فلم هو مُميزكثيرا على هذا النحو فضلا عن سائرالكتب الأخرى؛ ليسرقه شخص ما دون غيره؟ (تساءلت)

_ إليَك الأغرب من هذا! فإن أهمية الكتاب تعود لصفحة واحدة فقط من صفحاته الثلاثمائة؛ وهي التي تحوي خارطة تفصيلية لمكان الكنز.

وقيل بأن الملك الأرقط _وقد عرف بدهائه الشديد_ انتزعها من الكتاب قبل أن يتم سرقته، و أبقى عليها في مكانٍ آمن؛ فبات الأمر سرًّا لديه منذ ذلك الوقت، وظلّ كذلك إلى أن توفي بعد بضع سنوات؛ فلم يعلم أحدٌ ما بشأن الخارطة مجدَّدًا. (أجاب سابت)

_ ولكن ماذا لو...!

لم أكد أكمل السؤال حتى قاطعني سابت _قبل أن يذهب من أمامي مباشرة_ وقال لي:

_ كفانا حديثًا عن هذا؛ فليس لدينا وقتًا نُضيّعه، سأذهب الآن و أنتهي من إعداد جنودنا للمواجهة.

توالت الأحداث بعد هذا اللقاء، ولحسن الحظ فلم نحظَ بمزيد من المفاجآت حتى حلول وقت المساء؛ قرابة الساعة العاشرة.

وكان هذا هو الحوار الأخير الذي داربين ثلاثتنا قبل خروجنا في اليوم التالي؛ عندما اجتمعنا في غرفة الملك بعد قيامنا بإنجاز الأعمال وإعدادنا كافة الترتيبات اللازمة لانطلاقة يوم غد إلى حدود البلاد..

_ والآن لم يعد بيننا وبينهم سوى تلك الليلة! (بدأت حديثي إلى سابت)

_ نعم، فقط ليلة واحدة بعد؛ وسينتهي أمرهم جميعًا إلى الأبد. (قال سابت بضراوة تملؤه)

_ أرجو ذلك حقًا! (عقَّب فريتز بصوتٍ مضطرب).

فقلت له:

_ لا عليك يا صديقي! فالغد ليس ببعيد، وسيحسم الأمر عنده قريبًا جدًّا، فقط ما علينا سوى انتظار مُضِيّ تلك الليلة، وعندما يحين الوقت؛ سيكون كلّ شيء في طريقهِ إلى النهاية.

_ لطالما كنت محقًا يا راسندل، وأما الآن.. فآمل أن تكون كذلك أيضًا. (أجابني فريتز) بتوتُّرٍ ملحوظ لم أشهده عليه من قبل، فعلقت على هذا قائلا:

_ إذًا، فلنأمل بأن نظل جميعا على قيد الحياة غدًا.

فتبسَّم كلاهما ضاحكا، ومن ثم قال سابت:

_ حسنًا، فليذهب كلٌّ منا الآن، وينل قسطًا من الراحة؛ فلدينا غدًا شوطا طويل نقطعه.

ومن ثمَّ ذهب كلاهما إلى خارج الغرفة، و انتهى بي الحال هنا بمفردي أفكِّر في آخر ليلة لي فى روريتانيا، لا أدري ما إن كنت سأعود إليها مجدَّدًا، أو أنني لن أعود مطلقًا إلى أى مكان بعد ملاقاة سبانر..؟!

أخذت أتحدَّث إلى نفسي، تشغلني العديد من الأحداث التي مررت بها خلال تلك الأيام القليلة الماضية التي قضيتها في روريتانيا؛ كما كنت أتمنى بأن أحظى بها منذ بداية الأمر! حتى تسلَّم عقلي التفكير بشأن ذاك الحديث الذي داربيني وبين سابت فى صباح اليوم عن تاريخ كنز روريتانيا المفقود.

_ يا لها من قصة غريبة..! لا أظنني سأتمكَّن من النوم في تلك الليلة. (قلت لنفسي)

لذا فكرت في الخروج للتنزُّه قليلًا في الحديقة، ولكن ما إن نزلت إلى الأسفل ووصلت إلى البو ابة حتى تذكَّرت ما قاله سابت بألَّا يتوجَّب على أحدنا أن يغادر القصر في تلك الليلة؛ إلى أن يحين موعد انطلاقنا في صباح يوم غد.

عندئذ تراجعت عن فعل ذلك وقررت أن أعود أدراجي إلى الغرفة مجدَّدًا، ولكن في طريقي إلى الأعلى إذ بعيناي تقعان على صورة الملك رودولف الخامس؛ فتوقَّفت قليلًا أمامها لأرى صورته التي وضعت في المكان؛ حيث يرمز إلى تسلُّمه الر اية من أبيه!

فتذكَّرت حينها حوار قديم داربيني وبين أخي اللورد بيرلسدون؛ عقب مشاهدتي لذاك الخاتم المُمَيَّز الذي كان يرتديه آنذاك في سبَّابته اليُمنى، فقلت له:

_ يا له من خاتمٍ جميل يا روبرت..!، من أين حصلت عليه؟

_ لن تصدّق هذا؛ فقد تركه لي والدنا مع القليل من الأغراض الأخرى التي عثرت عليها في صندوقه الخاص؛ وما كنت لأحصل عليها قط قبل الآن. (أجابني)

_ولمَ..؟ (سألته)

_ لأنني ما كنت لأرتدي ذلك الزيّ الذي تسلَّمته عنه إلَّا عندما يحين الوقت المناسب لهذا؛ فقد عثرت على الخاتم بداخل تلك البزة الخاصة به. ثم تابع حديثه إلي قائلا: أوتعلم يا أخي رودولف! لا زال هناك الكثير بعد لنجنيه من آثار الآباء والأجداد؛ ولكن في الوقت المناسب لهذا؛ عندما نضحى مستعدِّين لتسلُّم الر اية منهم.

"هناك المزيد بعد لنجنيه من تراث الأباء والأجداد؛ ولكن علينا أولًا أن نكون مستعدين من أجل ذلك!".

يا لها من كلمات رنَّانة ردَّدتها بلساني؛ فتذكَّرت ما أخبرني به سابت عن تقليد ملوك روريتانيا في استبدال صورة الملك الحالي بالذي يسبقه؛ عندما يحين دورة لتولّي حكم البلاد.

_مهلًا لحظة! ..ماذا لو أن الأرقط كان يشير إلى...؟!

أجل..!!! (صرخة نصر مدوية)

يبدو أنني توصَّلت أخيرًا لحلّ ذلك اللغز، إطار الملك الحاكم هو المكان حيث توضع به صورته؛ فلا شك أن هناك شيء ما مخبأ خلف هذا المكان، ولكن أين يمكن أن يكون؟

يا إلهي! هذا الإطار كبير للغاية.

ظلت أبحث عن السرّ واستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى عثرت على قفلٍ صغير مُعَلَّق بإحدى زاويا الإطار السفلية؛ فذهبت على الفور لإحضار شيئًا ما لتحطيمه، وما كانت حاجتي سوى لطرقة صغيرة فوقه باستخدام تلك القطعة المعدنية فى يدى؛ فإذ به ينكسر ليخرج من الأسفل صندوق معدنى صغير قد صنع بداخل ذاك الإطار. وقد سقط أمامي فجأة على الأرض دون حاجة لسحبه.

فوضعت يدي بداخله وأخرجت ما كان به؛ فما وجدت سوى مخطوطة صغيرة لا يتجاوز طولها 15 سم، ولكنني عثرت أيضا بجوارها على قطعة ذهبية مثيرة للغاية؛ فهي تُشبه المفتاح إلى حد كبير، ويبدو أنها الوسيلة للحصول على شيءٍ ما آمن في مكان آخر.

لم أشعر أنَّه بالأمر الصائب، ولكنني كنت قد اتخذت قراري بالفعل بفتح تلك المخطوطة، وإلقاء نظرة عمَّا كُتب بداخلها!

لكن ولسوء الحظ، لم أكد أفعل حتى سمعت صوت وطأ أقدام تتَّجه نحو الغرفة؛ فأسرعت على الفور بإخفاء المخطوطة بداخل تلك المزهرية على المكتب، ومن ثمَّ أغلقت الصندوق وأعدت الصورة إلى موضعها كما كانت، وتوجَّهت مسرعًا إلى الأعلى نحو غرفة الملك.

لم أدرك كم كنت متوتِّرًا آنذاك وكأنني عثرت على الكنز بأكمله، ولكن على أيَّة حالٍ لم أظن حينها بمقدوري أن أطمئن لشيء ما إلى أن ينتهي كلّ ذلك الأمر.

عدت إلى الغرفة وقد كنت منهكًا للغاية من صعود ذلك السلم الطويل بتلك الطريقة؛ فاستلقيت على السرير واستغرقت في سباتٍ عميقٍ اصطحبته لذَّة انتصار كبيرة بعثوري وأخيرًا على ما لم يتمكَّن أحدٌ سواي من العثور عليه.

استيقظت في صباح اليوم التالي على صوت طرق على الباب؛ فأذنت للطارق بالدخول؛ فإذ به سابت قد جاء ليخبرني بأن أستعد للذهاب؛ فقد تلقَّينا إفادة من المارشال ستراكنتز بانتهائه من إعداد فريق الهجوم الذي سنحتاج إليه لإنقاذ الملك.

_ والآن، فقد حانت اللحظة المنتظرة للتحرَّك صوب هدفنا. (قال سابت بحزم)

عليَّ أن أعترف بأن تلك اللحظة كانت أكثر ما اضطربت بها جميع خواطري؛ فلم أدرك تمامًا ما كنت أشعر به آنذاك و أنا على وشك خوض تلك المعركة مع مجرم كسبانر، وكذا فتلك هي دقائقي القليلة المتبقية قبل ذهابٍ لا أدري ما إن كان سيعقبه إياب أم لا..!

وبينما انشغل ثلاثتنا للإعداد بالسير مع هذا العدد القليل فقط من الجنود لدينا _الذي يمكننا الانطلاق بهم إلى خارج حدود البلاد؛ دون لفت الأنظار_ فقد شعر سابت قليلا بالاضطراب؛ إذ يخلُّ ذلك بتلك القواعد المترأسة لشخصيته العسكرية التي اعتاد تلقيننا إيَّاها بين الحين والآخر.

وإذ برسالة تبعث إلى الملك من مجهول مع أحد الحرَّاس، وقد تسلَّمها منه سابت نيابة عنى وبدا وكأنه سيتولى قراءتها بنفسه عوضًا عن إعطائي إيَّاها كما كان يفعل من قبل، وبالفعل لقد قام بفتحها وهو يقول لنفسه:

_ لنرى إذًا ماذا لدينا؟!

وما إن فعل حتى تبدَّلت ملامح وجهه العبوس إلى تعبيرات أخرى لم أرى مثلها قط على وجهه، ثمَّ التفت ونظر إلي بدهشة، ودون التفوُّه بكلمة واحدة إلي مدَّ يده بالرسالة لكي أتفحَّص ما بها، وسرعان ما علمت بالسبب وراء الاختلاف الكبير في ملامحه.

_ أجل!! لقد علمت بأنها ستكون الخطة الأعظم لدينا بلا شك. (قلت)؛ و أنا أشعر بسعادة كبيرة تغمرني عندما أدركت من الذي أرسل إلينا هذا الخطاب!

فكانت المفاجأة بأن الرسالة لم تكن موجَّهة قط للملك ألفبرج؛ و إنما هي تخص راسندل من أخيه اللورد بيرلسدون؛ يعلمه بأنه سيكون هناك بانتظاره على حدود دولة روريتانيا من الناحية الغربية؛ لكي ينطلقا كلاهما معًا من أجل تحرير الملك الخامس.

وما أن انتهيت من قراءتي تلك الرسالة؛ حتى بدأنا نفكِّر مليًّا في أفضل طريقة للخروج من الدولة دون لفت الانتباه، ولم يكن هذا بالأمر الصعب على العقيد سابت؛ فقد أعدَّ بالفعل خطته بالأسلوب الأمثل الذي تبعناه؛ وهو أن نتحرَّك بجنودنا في كتائب يتزعَّم كلٌّ منها قائد قوي؛ على أن تتبع كلّ كتيبة منهم خط سير محدَّد لها حتى الوصول لنقاط معينة في نهاية الطريق الذي تسلكه.

وعندها سنبدأ جميعا بالتحرك مباشرة صوب نقطة التقاء جميع القوَّات، ومن ثم نسرع إلى حدود الدولة حيث سنلتقي بجيش اللورد بيرلسدون في طريقنا إلى هناك.

أوشكنا على التحرُّك قبل أن أتلقى إخطار من أحد الحراس يقول بأن الأميرة فلافيا بانتظار الملك فى القصر، وتودّ أن تلتقي به للضرورة.

فقال سابت:

_ أسرع يا راسندل، لا وقت لدينا لهذا.

استمعت إلى حديث سابت، ولكنني ظَلَت أفكِّر لوهلة ولم أُجِبه، فأعاد عليَّ ما قاله مجددا؛ وعندئذ التفتُّ إليه قائلًا:

_ تمهَّل قليلًا من فضلك! دعني أذهب وأرى ما الذي تريده الأميرة، ومن ثم سأعود إليكما على الفور.

_ أخبرتك أنه لا وقت لدينا لهذا، ألَا ترى ذلك؟ (قال سابت بحدة)

_ دعني أتحدَّث إليها للمرَّة الأخيرة؛ فقد لا تُتاح لي فرصة للتحدُّث إليها فيما بعد. (قلت لسابت)، وما لبث أن نظر إلي لبرهة، ثمَّ تبعها بكلمات موجزة:

_ حسنًا، ولكن لا تتأخر.

أسرعت إلى الداخل، وقد وصلت إلى حيث كانت الأميرة تنتظرني في غرفة المكتب؛ إذ كانت تقف هناك وتنظر إلى الجانب الآخر، فعلمت أنها تشعر بوجودي، إلَّا أنها لم تلتفت لي، و إنما ألقت علي بسؤالها:

_ لما فعلت كل هذا؟

_ ماذا تقصدين؟! (تساءلت متعجِّبًا)

عندئذ استدارت نحوي وقد احمرَّت عيناها من شدَّة البكاء، وأعادت عليَّ السؤال عينه وأضافت:

_ لما لازلت تخفي عني حقيقتك يا رودولف راسندل؟؛ فقد ظننت أنك عدت إلى هنا فقط من أجلي..!

والآن لم يعد بإمكاني الاستمرار في خداعها أكثر من ذلك؛ فقد رأيت أنها اللحظة المناسبة لكي أطلعها على حقيقة ما أشعر به تجاهها، فقلت لها:

_ بلى يا أميرتي، لقد عدت خصِّيصًا من أجلكِ أنتِ، ولم أكن لأغادر البلدة مجدَّدًا دون اصطحابكِ معي إلى حيث أذهب. الآن وقد علمتِ بمشاعري تجاهكِ؛ فأعدكِ بأنني سأصارح الملك بحقيقة الأمر بعد تحريره من قبضة سبانر.

_ لا أريدك أن تذهب إلى هناك؛ فلا أودّ أن أفقدك ثانيةً. (أجابتني)

_ بلى علي أن أفعل، ولكنني سأعود إليكِ كما فعلت من قبل، أعدكِ بذلك.

قلت لها جملتي، ومن ثم نظرت إلى عينيها التي اغرورقت بالدموع؛ فأمسكت بيدها فقبلتها، ثمّ ودعتها قائلا:

_ أراكِ قريبًا يا أميرتي.

وبعدها غادرت القصر مسرعًا دون النظر إلى الخلف.

(والآن فلنَنتقِل بحديثنا إلى الجانب الآخر من الرواية لدى سبانر؛ حيث كان الحوار قائمًا بين ويليام وديفيلن ليتضح لنا الجزء الأخير من اللعبة التي أعدَّتها هيلين في الماضي؛ للاستيلاء على كنز روريتانيا..)

الفصل الثامن

"خطّة لاستعادة المَلك"

(حوار أخير بين ويليام وديفيلن..!)

_ يا لك مِن شخص مخادع يا ويليام! جل ما أخبرتني به عن الملك رودولف لم يكن صحيحا؛ فقد خدعتني و أتيت بي إلى هنا فقط لكي تستخدمني فى الحصول على ما خططت له منذ البداية، و أنت لم تآبى يومًا لابنة شقيقتك، أليس كذلك؟

طالما حلمت بامتلاك أموال طائلة ولو لم يكن لديك حاجة بها، وبالطبع يجب أن تكون كذلك؛ فبالنسبة لأشخاص مثلك فالمال هو الغاية الكبرى وليس الوسيلة لتحقيق غاية ما، أنت شخص مريض يا ويليام ويجب أن يتم معالجتك.

أوشكت ديفيلن أن تذهب قبل أن يمسك ويليام بذراعها ويجذبها إليه بقوة، ومن ثم يتناوب دوره في البوح بما لديه؛ إذ قال:

_ استمعي إليَّ جيدًا أيتها الفتاة الغبية! أتظنين أن أحدًا ما بانتظارك في الخارج، أنتِ مخطئة يا عزيزتي؛ فقد كشفت خطتك الصغيرة للفرار مع الملك ولم نعد بحاجتك بعد الآن، ولكن بقى فقط شيء واحد أخير أود أن أخبرك به قبل موتك، وهو حقيقة والدتك السيدة هيلين..! أحقًا ظننت أنها كانت تكترث لأمرك يومًا ما؟! (قال ويليام بسخرية)

ثم واصل حديثه قائلًا:

_ لقد كانت هيلين فيما مضى تعمل لدى إحدى مكتبات العاصمة، وكانت امرأة طموحة للغاية تهوى كثيرًا البحث والتقصي، وقد ورثت عن أجدادنا من صائدي الكنوز الكثير حتى صارت مثلهم؛ فأصبحت والدتك صائدة كنوز وامتلكت مكتبة كبيرة تكتظ بكتب البحث في حضارات العالم القديم.

وذات يومٍ منذ أن كانت في الثامنة عشر من عمرها؛ قرأت عن كنز قديم تقاتل عليه ملوك دولة روريتانيا لأجيال عدة، وظلت تبحث طويلًا خلف هذا الأمر حتى علمت بشأن كتاب ما توارثته أفراد العائلة الملكية ألفبرج جيلا بعد جيل.

وقد انتقل هذا الكتاب من ملك لآخر دون أن يعلم أحد بمكانه؛ حتى أضحى تقليد قديم يقتضي بموجبه أن مَن يتولى حكم البلاد يصبح الكنز تحت ولايته، دون ذكر المكان حيث يتم إخفاء الكتاب!

ولكن فقط تلك القطعة الذهبية التي تُشبه المفتاح؛ فقد تناقلت عبر الزمان بين يدى الملوك الواحد تلو الآخر؛ ومنذ أن علمت هيلين بأمر ذاك الكتاب حتى أضحت تخطط للزواج من الملك رودولف الرابع لكي تتمكن من الوصول إليه؛ إلى أن فقدت الأمل فى السعي خلفه بعد فشل محاولاتها مرارًا وتكرارًا دون جدوى في الوصول إليه، وعندها قرّرت الزواج من والدك الدكتور ويستون.

وبعد مرور عامين من زواجهما عادت رغبتها الدفينة تلك في الاستيقاظ مجددًا عقب سماعها لهذا الخبر؛ فلم يكن قد مضى على ولادتك حينها أكثر من عام واحد؛ حتى علمت والدتك بأمر مجيء الملك رودولف الرابع إلى دولتنا في زيارة رسمية، و أنه

يخطط لحضور حفل كبير أقيم في وسط المدينة، وبمحض المصادفة.. فقد كنت أحد المدعوين فى هذا الحفل؛ إذ دعانى إليه رفيق لى من وزراء البلاد؛ يدعى (أنطونيوس).

وعندها بدأت هيلين تسترجع أحلامها السالفة في الإستيلاء على الكنز، وأخذت تفكر في طريقة ما لكي تصل إلى الملك، وتتمكن من تحقيق غايتها.

وعندئذ فكَّرت في التخلص من والدك؛ وقد نجحت في هذا بتحطيم كافة أعماله. ومن ثمَّ قامت بوضع السم في طعامه، تمامًا كما حاولت أن تفعل لاحقا مع الملك رودولف الخامس، وكادت أن تتخلص منك كذلك لولا أنها أعرضت عن هذا، وطلبت مِني الفرار بكِ إلى مكان بعيد؛ حيث لا يعلم أحد ما بشأنك..!

ولهذا السبب حاولت هيلين التقرب من الملك؛ ولذا فقد تزوجته بعد أن أخفت عنه حقيقة ابنتها الوحيدة التى تقف أمامى الآن، وكانت تزودني بكل ما أحتاج إليه من المال؛ كى أتمكن من تحقيق جل ما أردت تحقيقه يومًا من ثروات طائلة.

ففكرت حينها أن أكشف حقيقة والدتك أمام الملك رودولف الرابع، وأدعها تنل الجزاء الذي تستحق؛ جراء تهديدها لي من قبل بأنها ستقتلني إن حاولت البوح بأي مما أعرفه! إلا أنني تراجعت عن فعل هذا؛ فقط إلى أن تتمكن هيلين من الوصول إلى الكنز؛ ومن ثمَّ أكشف أمرها أمام الجميع، وأستولى على هذا الكنز بمفردي.

إلا أن الغبية استغرقت عمرًا بأكمله تحاول الوصول إليه، ولكنها لم تفلح في ذلك! وحينها توجب على الأخ الأصغر أن يُكمل ما بدأته شقيقته الكبرى. أليس كذلك؟

لذا فقد بدأت على الفور بمتابعة أخبار الابن الأكبر للملك رودولف الرابع؛ فعلمت آنذاك بأن لديه أخ _غير شقيق_ يدعى مايكل، وقد تحققت فيما بعد من كونه أخيكِ غير الشقيق أيضا.

وبعد عِدّة سنوات من متابعة الأحداث بداخل روريتانيا..

علمت بوفاة الملك الرابع، وأن ابنه الأكبر سيتولى حكم البلاد عما قريب؛ إلا أن مايكل كان لديه رأي آخر! فاتضح أنه قد ورث عن هيلين الكراهية ذاتها لكل ما يحول بينه وبين طموحاته؛ وعلى هذا الأساس فقد تصرَّف بالطريقة عينها مثلما فعلت هيلين من قبل، وشرع في تنفيذ خطته للتخلص من أخيه وتولي حكم البلاد بدلا منه.

إلا أنه أيضًا قد فشل في تحقيق ذلك؛ مع تدخل ذاك الشبيه رودولف راسندل الذى تمكن من إيقافه آنذاك.

والجدير بالذكر أن العقل المدبر لكل هذا كان هو العقيد سابت؛ فقد اِستغل راسندل لإنقاذ حكم البلاد من مايكل، وسار على خُطى والده الجينرال هيكس بيلار الذي تفانى في حماية الملك الرابع من قبل، لاسيما إنقاذه الملك الخامس من محاولات هيلين المتكرّرة للتخلص منه عندما كان صغيرًا.

وتلك هي حالنا جميعًا يا عزيزتي ديفيلن..! أجيال يتبعها أجيال على أمل تحقيق الأهداف عينها، ولكنكِ مَن قرر الخروج عن هذا النهج؛ ولذا فستلقين العقاب الذى تستحقينه عما قريب.

أوشك ويليام على الذهاب؛ لولا أن منعته ديفيلن بحديثها إليه:

_بقى شيء واحد فقط لم يكن جزءًا من خطتك يا سيد ويليام!

عندها توقف ويليام فجأة، وأعاد النظر إلى عينيها مجدَّدًا ينتظر سماع ماذا تقول؟! ولم يدم انتظاره طويلًا؛ حتى تابعت حديثها قائلة:

_ شيء واحد بعد لم تنجح في تعلمه من الماضي، وهو أن لديه عادة سيئة في تكرار نفسه مجددا!

فلم تتمكن والدتي فيما مضى من تحقيق ما أفنت عمرها وهي تحاول الوصول إليه؛ وهذا لأنها أرادت الحصول على ما ليس من حقها أن تحصل عليه، لاسيما أنها قد سلكت طريق خاطئ للوصول.

وكذا فعل أخي مايكل عندما حاول التخلص من أخيه؛ فكان عليه أن يلقى أيضا الجزاء الذي يستحق. والآن فقد حان دورك لكى تشهد النهاية عينها..!

فالطريق الذي سلكتموه جميعكم لم يكن النهج الجيد بالنسبة لي لكي أشارككم في اتباعه، أو أن أسير معكم على خطى أجياله السابقة؛ ولكنني فضلت الخروج عن تلك الدائرة، وأدعكم جميعًا تركضون بداخلها في طريق يعيدكم فى نهايته من حيث بدأتم مرَّة أخرى؛ فهذا هو حال جميعكم..! فاشل يتبعه فاشل على أمل الحصول على ما ليس من حقه، وفي النهاية لن يحصل عليه وإن أفنى عمره في محاولاته البائسة لتحقيق ذلك؛ تمامًا كما فعلت والدتي من قبل!

والآن يا سيد ويليام بقى لديّ أمر أخير أخبرك به.. وهو أن المرء كونه قليل حِيلة أمين خيرٌ له من أن يكون نذل كثير الاحتيال، وإن كنت محقًا بأن السير على خُطى الأسلاف هو النهج الأمثل لاتباعه؛ فهنيئًا لكم جميعا بالحصول على النتيجة عينها!

إلا شخص واحد فقط قرر الخروج عن هذا النهج، و إتخذ لنفسه دربًا لم يكن له منذ البداية؛ ولكنه أصرَّ على بلوغ نهايته، ولاشك بأنه في طريقه الآن إلى هنا، وسيصل إلينا عما قريب.

_ عن أي شخص تتحدثين؟! (تساءل ويليام بسخرية)

_ ومن غيره، بالطبع إنه.. (رودولف راسندل).

في ذلك الوقت كنت قد وصلت بالفعل إلى المكان؛ حيث أخبرتني ديفيلن في رسالتها ومن ثمَّ أعطى سابت إشارته بالهجوم على الفور، وبدأ صوت تبادل إطلاق النيران يعم الأجواء.

ولسوءِ الحظ، فلم يدم الأمر طويلًا قبل أن يعيد سبانر تكرار الكَرة عينها من جديد، بئس الأمر!؛ فقد خرج إلينا يصطحب معه كلًا من روبرت وويليام، ويصطف من خلفهم جميع حُراس القلعة.

وها هو ذا الملك رودولف الذي كُبلت يداه بالأغلال خلف ظهره، ممسكًا به أحد الحراس ويسير معه فوق جسر القلعة.

صرخ سبانر بصوتٍ عال يدعوننا جميعًا للخروج ولقائه أمام بو ابة القلعة.

_ تبا! لقد اكتشف أمرنا. (قلت في نفسى)

فقال فريتز:

_ لاشك بأن الخادم قد علم بخطتنا و أبلغ بها سبانر.

_ لا لم يفعل؛ فقد احتجزته في روريتانيا قبل خروجنا من هناك، وتأكدت بأنه لم يخبر سبانر سوى فقط بما أردناه أن يفعل. (أوضح سابت)

_ أَمِن الممكن أنه كان يكذب؟! (تساءل فريتز)

_ هيا اخرجوا جميعكم الآن؛ وإلا قتلته. (صرخ سبانر مجددًا)

_ يا إلهي، ماذا سنفعل؟ (يتساءل فريتز)

أجاب سابت:

_ لا خيار لدينا، علينا الخروج ومواجهتهم.

- أخي، أبلغ رجالك بأن يبقوا في مو اقعهم؛ فالشيء الوحيد الذي بقى لدينا مؤكدًا بأن سبانر لم يعلم بشأنه هو ووجودكم هنا الآن، ولن نخسر هذا الكارت الأخير لدينا.

_ بماذا تفكر؟! (سألني سابت)

_ لا تقلق؛ أعلم جيدًا ماذا عليَّ أن أفعل.

خرجت مع سابت وفريتز؛ فتبسم لنا سبانر بسخرية، وقال مشيرًا بحديثه إلى سابت:

_ أخبر رجالك بالخروج أيها العقيد؛ فقد فشلت خطتك للمرَّة الثانية.

فعل سابت مثلما قال، وأمر جنوده بالاصطفاف في الخلف.

_ كيف علمتم بوجودنا يا سبانر؟ (قال سابت)

فضحك مجددًا وأجابه:

_ سأعتبر هذا هو مطلبك الأخير وأمنحك الجواب الذي تريد..؛ لقد رأى ويليام صورة ذاك الشبيه في قصر بيرلسدون عندما ذهب مع ديفيلن إلى هناك لزيارة صديقتها كما ادعت؛ فعلمت أن ولاءها لم يعد لنا بعد الآن، ولكنني أبقيت عليها إلى أن أكتشف ما الذى تخططون من أجله!

أعترف بهذا أيها العقيد..؛ فقد كنت ذكيًا أكثر مما توقعت باكتشافك أمر ذلك الخادم!

علمت هذا عندما أرسلته إليَّ بمعلومات كاذبة، ولكنني تركته ليعود إليك مجددًا، ويطمئنك ما إن كان ولاؤه لك، أو لتقتله إن شئت باكتشافك خيانته.

مرحبًا بك أيها الإنجليزي!؛ لم نلتقي منذ وقت طويل. (بدأ روبرت حديثه إليّ)

_ وكنت أُفضل لو أننا لا نلتقي مجددًا. (أجبته بسخرية)

فقال لي:

_ أما أنا فلا؛ فقد كنت أتوق لهذا منذ لقاءنا الأخير لكي أنتقم منك على ما فعلت، والآن فلتأتي إليَّ وتحصل على ما تستحق.

_ حسنًا؛ ولكن ليس قبل أن تطلق سراح الملك رودولف. (عقبت على قول روبرت)

_ لست في موقف يسمح لك بالتفاوض أيها الفتى. (قاطعنا سبانر)

_ بلى يمكنني ذلك، فمَن تريده هو الملك الحقيقى وهو الذي يقف أمامك الآن، وأما مَن لديك فليس الشخص الذي تريد. (حاولت خداع سبانر)

_ ماذا تقصد؟! (سألني سبانر بدهشة)

_ أقصد أن هذا هو شبيهي الإنجليزي رودولف راسندل؛ وأما ملك روريتانيا فهو من يتحدث إليك؛ إنه أنا الملك رودولف ألفبرج. (أجبته باحتيال)

ألقيت بظِلال الشك على جميع الحضور باستخدام تلك الكلمات؛ وها قد بدأ جميعهم ينظرون إليَّ، وبدت ثقتهم بوجود الملك الحقيقي لديهم تتراجع شيئًا فشيئا. فمنحني ذلك فرصة جيدة لإرتجال المزيد؛ فقد يساعدني هذا في تنفيذ خطتي الخاصة.

_ لا تصدقه يا سبانر فأنا أعرفه جيدًا! بالطبع إنه راسندل؛ فلم يكن الملك الحقيقي ليتصرف على هذا النحو، لاشك بأنها خطة منه لخداعنا. (أوضح روبرت رؤيته بعصبية)

عندئذ رفعت إصبعي إلى الأعلى في الهواء، وقلت لسبانر:

_ إن كنت لا تصدقني فلتلقي نظرة على هذا إذًا، هذا الجرح كان في إصبع الملك الذي إختطفته في تلك الليلة، أليس كذلك؟!

ولكنه يقف أمامك الآن بعد تمكنه من الهروب واستبداله بذاك الشبيه الذي لديك؛ خلال مناوشاتك مع العقيد سابت عند الجسر القديم، وقد تم ذلك بمساعدة ديفيلن.

فأمر سبانر بإحضار الملك رودولف على الفور، وأزال الضمادات التي وضعتها ديفيلن على إصبعه لكي تخفي حقيقته؛ وعندها بدأت خطتي تكتمل.

عندئذ صرخ روبرت قائلا:

_ لا تصدقه يا سبانر، إنك لا تعرفه جيدًا كما أفعل؛ فأنت لم تواجهه من قبل.

ثم تابع قائلا: لقد أرسلت إليه السفيرة لورا لكي تكشف لنا حقيقته، وأكدت بأن مَن قابلته في ذلك الحفل لم يكن الملك رودولف الذي إلتقت به في المرَّة السابقة.

_ هكذا إذًا! علمت الآن لما كانت تلك السفيرة تستجوبني بأسئلتها الغريبة تلك حول إختلاف شخصيتي. (قلت في نفسى)

إلا أنني حاولت ألا ألقي بالًا لهذا؛ فتابعت حديثي إلى سبانر ولم ألتفت قط لما يقوله روبرت؛ رغم خوفي الشديد أن يصدق ما يقوله له. فأنا الآن في سباق معه لإقناع سبانر بما نقول؛ ولذا فقد توجب عليَّ أن أكشف له الجزء الأخير من الحقيقة.

فقلت له:

_ لطالما كانت مخططات سابت ناجحة يا سبانر؛ تمامًا مثل والده الجينرال بيلار. أتذكر ذلك؟!

وقد نجح بالفعل في المرَّه السابقة باستبدالي مع راسندل، وأما الآن فقد أتينا إلى هنا من أجل تحريره، وبالمقابل سيعطيك الملك الشيء الذي طالما رغبت فى الحصول عليه.

_ عن أي شيء يتحدث راسندل؟! (همس فريتز في أذن سابت)

_ لا أعلم. (أجابه سابت)

_ علمت منذ البداية أن خطتك لم تكن قط الإستيلاء على حكم روريتانيا، و إنما كانت تلك هي هدفك الحقيقي، أليس كذلك؟

_ إنها مخطوطة الكنز، كيف تمكنت من العثورعليها؟!؛ فقد بحثت عنها منذ زمن بعيد ولم أتمكن من إيجادها. (قال سبانروقد اتسعت عيناه من الدهشة)

_ ومن غيرالملك الحقيقى يمكنه أن يفعل إذًا؟! (أجبته مستنكرًا)، ثم تابعت:

_ علمت منذ البداية أنك تود الحصول عليها؛ ولكنني لم أرد أن أفسد عليك مخططك لخداع روبرت، والادعاء بأنك تساعده من أجل الوصول إلى راسندل وتحقيق انتقامه منه، وبالمقابل فأنت ستشاركه في حكم روريتانيا، ألست محقًا في هذا؟

أظنك الآن يا روبرت صرت على علم بحقيقة مَن الذي قد قام بخداعك!

عندها رأيت نجاح خطتي في تلك التعبيرات على وجهه بعدما أخبرته به؛ لاسيما تصديق سبانرعلى ادّعائي بأنه كان يسعى خلف خارطة الكنز.

تأكدت أن الأموربينهما قد ساءت بالفعل؛ عندما صرخ روبرت في وجه سبانر مستنكرًا:

_ لقد خدعتنى يا سبانرلكي تستولي على كنزروريتانيا بمفردك؟!

فاستدارإليه سبانروقد أشهرسلاحه في وجهه، وقال له بضراوة قبل أن يضغط على الزناد مباشرةً:

_ ربما لم أفكر في هذا من قبل!، ولكنني استغليتك بالفعل. وأما الآن فقد انتهى دورك، وحان وقت الذهاب بالنسبة لك، ومن ثمَّ ضغط على الزناد؛ فانفجرت رأس روبرت.

وبهذا فقد انتهيت منه إلى الأبد على يد شريكه، دون تدخل مِني في هذا.

والآن بقى لدينا المصيبة الكبرى الذي يُدعى سبانر؛ وقد استدار إلى تلك الناحية مرةً أخرى مصوبًا بسلاحه إلى رأس الملك رودولف، ومِن ثمَّ صاح قائلًا لي:

_ والآن أيها الملك، إن كنت تريد استعادة شبهك؛ فلتحضر إليَّ الخارطة في الحال.

_ حسنًا لا بأس بهذا؛ ولكن في كل خطوة سأخطوها تجاهك يجب أن يخطو مثلها شبيهي نحونا. (تفاوضت مع سبانر)، فهمس إلي سابت وسألني:

_ ماذا تفعل يا راسندل، هل ستذهب إليه حقًا؟!

_ لا تقلق يا سابت، راقبني فحسب.

_ لك هذا أيها الملك؛ فلنبدأ الآن. (قال سبانر معلنًا قبوله المفاوضة)

بدأت في التقدم نحو سبانر شيئًا فشيئًا، ولم أشعر قط بخطوات مثل تلك التي أتقدم بها نحو مجرم على وشك أن يقوم بقتلي؛ ولكنني تابعت السير إلى أن التقيت بالملك رودولف في منتصف المسافة بيني وبين سبانر.

عندها توقفنا لوهلة ونظر كلانا إلى الآخر؛ ولكننا لم نتفوَّه بأي شيء أمام أنظار سبانر؛ الذي قال في غضب:

_ استمر بالتقدم أيها الملك؛ وإلا أفرغت خزينتي في كليكما.

نظرت إليه، ثم تابعت السير حتى وصلت إلى حيث صرت بمواجهته؛ فمددت يدي لأسلمه الخارطة التى سرعان ما اختطفها مِني وبدت عليه علامات الفرح تملأ وجهه حتى برزت أنيابه إلى الخارج.

عندها تفوَّه ويليام بكلماته الأولى قائلًا:

_ أرى أنه حتى الملوك الأذكياء لا يمنعهم ذلك من الاستسلام؛ يا له من أمر مخزٍ..؟!

ثم أشهر سبانر سلاحه في وجهي قائلًا:

_ ولن يمنعهم كذلك من الموت.

عندئذ نظرت إلى ويليام، وقلت له:

_ بالنسبةِ لي فالاستسلام ليس بالأمر المخز؛ و إنما هو خدعة جيدة من خصم ذكي.

جحظت عيني ويليام، وما لبث أن صرخ على الفور يقول لسبانر:

_ هذا ليس الملك الحقيقي؛ إنه هو رودولف راسندل!

فأعرض سبانر بعينيه لوهلة يتساءل: كيف يُعقل أن..؟!

أسرعت بانتزاع الخنجر من حذائي وطعنته به في كتفه الأيمن؛ فسقط سلاحه على الأرض، ومن ثمَّ صرخت عاليًا و أنا أقفز إلى الماء:

_ الآن يا أخي.

عندئذ سمعت صوت تبادل إطلاق النيران مدويًا، وخرجت لأجد الكثير من الدماء التى أريقت هنا وهناك؛ فاستحال المكان لمقبرة كبيرة سقط بها العديد من رجال سبانر على يد اللورد بيرلسدون ورجاله.

وخلال تلك المناوشات تلقى سبانر إحدى الطلقات في كتفه الأيسر، وأما ذاك الجبان ويليام؛ فقد أسرع بالاختباء بداخل القلعة، ومن ثمَّ لحق به سبانر عبر الباب الخلفي؛ محتميًا خلف الكثير من حراسه يتبادلون الطلقات مع جنود سابت.

أسرعت بالخروج من المياه، وعندها رأيت الملك رودولف يركض باتجاه القلعة؛ لا أعلم ما الذي يحاول أن يفعل!!؛ إلا أنه تمكن من الولوج إلى الداخل قبل أن تغلق الأبواب خلفه.

_ يا إلهي ما هذا! لماذا يعود الملك إلى هناك مجددًا؟! (تساءلت بدهشة)

ذهبت مسرعًا إلى سابت وأخبرته بالأمر، وركضنا معًا نحو السلم الجانبي للقلعة الذي يصل إلى منتصف إرتفاعها، وقد لاقينا العديد من رجال سبانر في طريقنا إلى هناك؛ فأجهزت على أحدهم بسيفي وحاولت إطلاق النار على الآخر، ولكن سلاحي قد أتلفته المياه.

أوشكت أن أتلقى رصاصة من سلاح ذلك الحارس لولا أن تدخل المارشال ستراكنتز لإنقاذي؛ فتسلم قتله قبل أن يفعل، ومن ثمَّ رفع يده فى الهواء يلقى عليَّ تحيته العسكرية المميزة.

ركضت مسرعًا إلى الداخل وقد التقيت بسابت عند الردهة الخلفية، وتمكنا من العثورعلى سبانرالذي كان هناك بالأعلى؛ يركض عبرذلك الممَرالذي يصل بين شِقي القلعة.

فقال لي سابت:

_ اذهب واعثرعلى الملك رودولف، وأما أنا فسأذهب خلف ذلك المجرم وأسوي حسابي معه.

_ سآتي معك إذًا. (قلت لسابت)

_ لا، لا يمكنك أن تفعل! فهذا الأمرهو بيني وبينه؛ إنها مسألة شخصية وسأفعلها من أجل والدي. (أجابني سابت بحدة)

للمرة الأولى أسمعه بها يتحدث عن الجينرال بيلارتحت مسمى والده، ومن ثمَّ لحق بسبانرإلى الأعلى.

_ حظًا موفقًا أيها العقيد! (قلت له)، ثم ذهبت من الجهة الأخرى إلى السرداب؛ حيث اعترض طريقي اثنين من الحراس بسيوفهم.

حاولت التصدي لكليهما؛ فنجحت بطعن أحدهما بخنجري، ولكن الآخرأصاب ذراعي بسيفه؛ فسقط الخنجرمن يدي.

انتزعت إحدى تلك الشعلات المعلقة على طول جدارالممرّوبدأت أناوشه بها؛ حتى سقط سيفه من يده؛ فأخذته ثم أجهزت به عليه.

خلال ذلك شاهدت الملك رودولف في نهاية الممر، يركض نحو الجهة اليمنى إلى حيث يوجد سلم ما يقود للأسفل؛ فلم أعي ما الذي يحاول أن يفعل!، ولكنني لحقت به إلى هناك.

أسرعت خلفه إلى أن وصلت إلى تلك النافذة الصغيرة ذات الأقطاب الحديدية الثلاث المصطفة رأسيًا؛ والتي تطل على غرفة القبو. فنظرت من خلالها وتمكنت من رؤية الملك بالداخل يقف بمواجهة ذلك النذل ويليام؛ الذي أمسك بابنة شقيقته ووضع سكينًا حول رقبتها، ثم أخذ يهدد الملك قائلًا:

_ ابتعد عني يا راسندل! فليس بيننا نزاع شخصي؛ إنما هو صراع بين الملك وسبانر لا شأن لنا به.

_ أنا لست راسندل؛ إنه أنا الملك رودولف وقد أتيت فقط لاصطحابها معي؛ فلتدعها وشأنها يا ويليام، وأعدك بأن أحدًا ما لن يؤذيك. (أوضح الملك)، فأجابه ويليام بتوتر:

_ حقا! محاولة جيدة كالتي تسبقها، ولكنها لن تنطلى علي هذه المرة. الآن إبتعد عن طريقي وإلا قتلتها.

في ذلك الوقت نجحت بلفت انتباه الملك؛ ورمقته بأن يدع ويليام يذهب إلى الخارج. وعندها حاول ويليام الخروج من الغرفة؛ فاعترضت طريقة، وسرعان ما أمسكت بيده التي يحمل بها السكين؛ فأسرع الملك بانتزاع ديفيلن من بين يديه.

وعندها نظر ويليام إليَّ بدهشة؛ فقلت له:

_ نعم، إنه أنا رودولف راسندل..(رجل لا يعرف الاستسلام؛ ولكنه أيضا مخادع جيد). بوسعي قتلك الآن إذا أردت؛ ولكنني فقط لن أفعل من أجل ديفيلن، وسيكتفي الملك رودولف باعتقالك لما بقى من عمرك.

عندئذ وصل المارشال ستراكنتز إلى القبو حيث كنا نقف؛ فأمره الملك باصطحاب ويليام معه إلى الخارج.

وأوشكنا على الذهاب؛ لولا أن اقتربت مِني ديفيلن تسألني:

_ ما علاقتك بالكونتيسة روز؛ زوجة اللورد بيرلسدون؟!

عندئذ تبسمت ضاحكًا، وقلت لها:

_ كنت سأسألك السؤال عينه! ..إنها زوجة أخي.

ولكن أخبريني..؛ كيف تمكنت من إقناعها بالذهاب إلى روريتانيا وتسليم رسالتك إلى الملك؟! (سألتها)

_ إنها صديقتي، وقد كنت مدعوة لديها كي تعرفني إلى شخص مميز للغاية. (أجابت ديفيلن بخفة)

_ أوه نعم لقد فهمت، هكذا إذًا!! (قلت و أنا أمازحها)، ثم تابعت:

_ حسنًا. فلنخرج من هنا الآن، ولنسوي هذا الأمر فيما بعد.

_ مهلًا لحظة، أين هو سابت؟ (تساءل الملك)، فأجبته بتوتر:

_ يا إلهي! نسيت أمر هذا تماماً؛ لقد تعقب سبانر فوق ذلك الجسر لتسوية الحساب معه.

فلنسرع إليه إذًا. (عقب فريتز على الفور)

الفصل التاسع

"اللّقاء الأخير"

(قتال بين سابت وسبانر!)

_ استسلم يا سبانر! لا جدوى من محاولاتك الفرار؛ فقد انتهى أمرك.

_ أنا فقط مَن يقرّرهذا أيها العقيد.

_ لا ليس بعد الآن؛ فقد فشلت جميع مخططاتك، وحان الوقت لكي تدفع الثمن جراء كل ما اقترفته في حق روريتانيا.

_ أظنك تقصد في حق أبيك يا ابن جنرال بيلار. (عقب سبانربسخرية)، فأجاب سابت:

_ لا تقلق بشأن هذا؛ فقد ورثت عنه الطباع نفسها، وأعلم بأن المجرم سينال جزاءه عاجلًا أم آجلًا؛ ولكن سيكون أفضل أن يلقى عقوبته على يد الحاكم، وليس على يد ضحيته، فأنا لا أود أن أصير مثلك يا سبانربفعل هذا.

فقال سبانربمكر:

_ ولكن ألا تظن بأن هناك فرصة أخيرة لتسوية الحساب بيننا؟، ماذا بشأن مباراة أخيرة أيها العقيد؟؛..فقط مباراة واحدة بعد! ..فإما أن تكون فائزًا وتثأر لوالدك، وإما أن أجعلك تلحق به إلى حيث ذهب.

علمت أن هذا ما أردته منذ البداية. (علق سابت على حديث سبانر)، ثم تابع قائلا:

_ حسنًا لك هذا. سألبي إليك مطلبك الأخيريا سبانر، أرنى ما لديك!

_ دعنا نبدأ إذًا، ولنرى إلى أي مدى تعلمت من أبيك مهارة المبارزة!

ألقى سابت بسلاحه أرضًا، وأشهر كلاهما سيفه في وجه الأخر، وبدأت المناوشات بينهما بضربات خاطفه من سبانر؛ الذي بدى وكأن لدية الكثير من المهارات والخِدع مع السيف.

لكن سرعان ما تصدى سابت لضرباته المتكررة، وظل الهجوم متواصلًا من أحدهما على الآخر؛ إلا أن الأفضلية كانت لسبانر؛ الذي قاتل بشراسة كبيرة وأحسن تفادي هجوم سابت بذكاء ومرونة.

فاستعرض الكثير من المهارات في القتال، والتى كانت إحداها تصديه لإحدى ضربات سابت التي سددها إليه من الخلف؛ دون النظر إلى الوراء!

واستمرت المبارزة لفترة طويلة، إلى أن أضحى سابت يلتقط أنفاسه بصعوبة بالغة، وعندها تلقى من سبانر ضربة حادة على ذراعه الأيمن؛ فوقع السيف من يده وارتكز بركبتيه على الأرض يحاول استعادة قواه؛ إلا أن الضربة قد أفقدته القدرة كليةً على حمل سيفه.

عندئذ تقدم سبانر ببرود شديد نحوه _وهو يعتصر مقبض السيف في راحة يده استعدادًا لإنهاء المبارزة؛ كما اتضح من تلك الابتسامة التي رسمها على وجهه،

ونظراته الخبيثة تلك التي تبعها ظهورأنيابه الكبيرة المقززة_ حتى توقف أمام سابت وألقى عليه كلماته الأخيرة؛ قائلًا:

_ عارٌعليك أيها العقيد، لا أدري كيف ستقابل والدك الآن وقد خذلته!!

أود لو يمكننى القول بأنني لن أكون سعيدًا بقتلك، ولكن معذرةً؛ فأنا لن أدعي هذا ! ولن أنكرأنني طالما إنتظرت حلول ذلك اليوم؛ الذي أثأربه على ما فعله بي هيكس. على أية حال فالاتفاق بيننا لا يزال قائمًا؛ والآن فقد حان الوقت لإرسالك إلى أبيك.

ثم رفع سبانرسيفه عاليًا في الهواء ليهوى به على رقبة سابت، ولكن فجأة وبطريقة مذهلة..! إلتقط سابت سيفه باليد اليسرى، وهاجم سبانربضربة قوية على ساقه؛ فأسقطه أرضًا و أفلت السيف من يده.

عندئذ نظرإليه سبانرعلى نحوغريب؛ فبدى وكأنه يرى أمامه شخصًا آخر! ..شخص ما سبق وأن تبارزمعه من قبل، وقد تغلب عليه بنفس هذا الأسلوب؛ مع القتال باليد اليسرى.

_نعم يا سبانر، لقد أخذت عنه كل شيء؛ حتى أنني أمتلك المهارة نفسها في المبارزة بكلتا اليدين. (قال سابت بحدة)

ثم نهض سابت، وأخذ يتقدم نحوسبانرشيئًا فشيئا؛ حتى توقف أمامه ليشاهد علامات الخوف التى رسمت على وجهه، وما لبث أن قال له:

_ لا تقلق؛ فأنا لم أنتهي منك بعد! انهض يا سبانروالتقط سيفك؛ فابن جينرال بيلارلا يقاتل شخصًا أعزل، أوكما كان يقول لي دائمًا.. "السبع الصياد لا يهاجم فريسة عاجزة"

عندئذ أمسك سبانربسيفه ووقف كلاهما بمواجهة الآخروالدماء تتساقط من أجسادهما، ومن ثمَّ بدأ سابت فى هجومه العنيف مع ضرباته المتلاحقة على جميع أجزاء جسد سبانر، إلى أن أصاب كلتا ذراعيه وأحدث بكتفه جرح عميق.

الآن وقد أوشك على الانتهاء منه، وصلت إلى هناك بصحبة ديفيلن، والملك رودولف الذي صاح عاليًا لمناداة سابت؛ فاستغل سبانرفرصة انشغاله بالنظر نحونا وسدد ضربة قوية على يده فأسقط السيف منه، ولكن سرعان ما سدد إليه سابت وخزة سنوكرفي صدره؛ فتقهقرإلى الخلف شيئًا فشيئًا؛ حتى كاد أن يسقط من أعلى الجسر؛ لولا أن تشبث بالحافة.

لم يبدولدى سبانرفرصة للنجاة، وعندئذ بدأ سابت يتراجع إلى الخلف، إذ كانت النيران تحيط بالمكان من حوله، وشعرسبانربحلول النهاية؛ فرسم على وجهه تلك الابتسامة الساخرة، ثم قام بحركته الأخيرة بإخراج الخارطة من ثيابه، ومن ثمَّ ابتسم ابتسامة عريضة وهويلقي بها بين ألسنة اللهب.

أسرع سابت محاولًا الوصول إليها؛ فلحقت به إلى داخل حلقة النار، وجذبته إليَّ بقوة و أنا أقول له:

_ لا يهم أمرالخارطة الآن، فلنسرع بالخروج من هنا قبل أن تحتجزنا النيران بالداخل.

أسرعنا نركض جميعًا إلى الخارج؛ حتى تمكنا من عبورذلك الجسر إلى منطقة آمنة، وعندها تمكننا من رؤية ذلك المشهد لسقوط سبانر_الذى اشتعلت به النيران_ من فوق حافة الجسرعلى الأرض؛ ليلقى حتفه وأخيرًا بالطريقة التي يستحق، ومن ثم تابعت ألسنة اللهب عملها في إخفاء أثره حتى انتهت منه تمامًا؛ فبدى وكأنه كتلة سوداء متفحمة بالكامل.

وها نحن ذا الآن في طريقنا للخروج من القلعة؛ لنجد اللورد بيرلسدون بانتظارنا عند البوابة، بعد قضائه على آخرفرد من رجال سبانر؛ فبات الوضع آمنًا تمامًا.

_ أشكرك كثيرًا على المساعدة في إنقاذي. (بدأ الملك حديثه مع أخي بيرلسدون)، ومن ثم تابع قائلًا:

_ بات لكليكما الكثيرلدي لكي أشكركم عليه؛ فأرجو أن تقبل دعوتي المتواضعة لكليكما إلى قصري الملكي، وكذا فلن أنسى أن أضم بدعوتي زوجة اللورد؛ التي لولاها لما تمكن أحدكما من الوصول إلى هنا لإنقاذي.

_ لا داعي للشكر أيها الملك رودولف! إنه لشرف لي إنقاذك من أسر أولئك المجرمين، وبالطبع سأودُ قبول دعوتكم. (أجابه بيرلسدون)

_ إذًا سأكون بانتظاركما غدًا مساءاً في تمام الساعة الثامنة؛ وسأقوم بإعداد حفل خاص لاستقبال الثنائي الذي شارك فى إنقاذي.

_ أشكرك كثيرًا على هذا، وأعدك بأن نكون هناك في الموعد المحدد.

عدنا جميعا إلى روريتانيا في تلك الليلة، بعد أن التقيت بأخي خارج القلعة وأخبرته بأنني سأعود إلى روريتانيا برفقة الملك؛ فأنا لم أنتهي بعد من عملي هناك، ولا زال لدي أمرهام أقوم به.

_ حسنًا إذًا، سنلتقي في مساء يوم غد، ومن ثم نعود أدراجنا معًا إلى حيث تنتمي، أليس كذلك؟

_ بلى بالطبع سأفعل، ولكن بعد أن أحصل على ما أردته منذ البداية.

_ لك هذا، إلى اللقاء يا أخي.

ومن ثم انطلقت مصطحبًا سابت وفريتز في طريقنا برفقة الملك، عائدين إلى البلدة آمنين بعد انتهاء كل تلك المغامرات الدامية.

فورعودتي إلى هناك كنت آمل أن شخصا ما كان يعلم بشأن نجاح مهمتنا، وهو الآن بإنتظارنا في القصر الملكي.

ولحُسن الحظ! فقد حصلت بالفعل على ما رجوت؛ فإذ بأبواب القصر تفتح أمامي عند وصولنا لأجد الأميرة فلافيا بانتظارنا فى الداخل، وقد أتت تركض باتجاهنا مسرعة فوررؤيتها لنا؛ حتى وصلت إلى هناك حيث كنت أقف بجوار الملك، وبدت سعيدة للغاية برؤيتي.

فظن الملك أنها لم تتعرف إليه، وأوشك أن يلفت انتباهها لذلك؛ لولا أنه لم يكد أن يفعل قبل أن تعانقني الأميرة قائلة:

_ سُررت كثيرًا بعودتك يا راسندل.

كان هذا أمام أنظار الجميع، ولن أنكر بأنه كان أفضل ما حظيت به على الإطلاق. والآن فلم يعد لدي ما أنا بحاجة لإيضاحه إلى شخصٍ ما؛ فقد بات الأمر جليًا على أعين جميع الحضور.

شعرت فلافيا بإحراج كبير وهي تهنئ الملك بعودته؛ إلا أنه تغاضى عن هذا قائلًا:

_ سررت برؤيتك مجددًا يا ابنة العم.

ومن ثم صاح عاليًا بطريقة مضحكة:

_ ليخبر أحدكم الخدم بأن الملك قد عاد وهو جائع للغاية.

فعلت أصواتنا جميعًا بالضحك، وعلق فريتز على هذا قائلًا:

_ سررت كثيرًا بعودتك يا سيدي.

وأضاف سابت:

_ أهلًا بعودتك أيها الملك.

وبهذا فقد انتهت جميع المتاعب؛ فنستطيع الآن أن نتناول الطعام معًا على طاولة كبيرة تجمع بين جميع أفراد الرواية؛ حيث يتزعم الملك رودولف المجلس في أقصى اليمين؛ حيث كانت ديفيلن تجلس بجواره تعتري وجهها ابتسامة لطيفة، وعلى الجانب الآخر من الطاولة كنت أجلس هناك برفقة الأميرة فلافيا؛ مع الكثير من الرومانسية التي تملأ الأجواء من حولنا.

_ لماذا تأخرت كل هذا الوقت؟ لقد انتظرتك طويلًا. (همست فلافيا في أذني)

فسألتها:

_ إذًا، فقد كنتِ تدركين بأنني سأعود؟!

_ بالطبع لقد فعلت؛ ففي النهاية لقد عدت إلى روريتانيا خصِّيصًا من أجلي. (أجابتنى بابتسامتها الرائعة)

_ بلى، وكذا فلن أبرحها مجددًا دون اصطحابكِ معي إلى حيث أذهب. (عقبت على حديثها)

_ ولكن ألم تشعر قط بأنك أخطأت فى قرارك، أو أنك قد ضللت الطريق عندما اخترت أن تعود إلى هنا مجددا؟! (تساءلت فلافيا)

_ لا لم أفعل، فقد أخبرنى شخصا ما ذات مرة بأننى.. "لن أضل طريقى أبدا؛ فقط إذا عييت حقا ما الذى أريد!" (علقت على سؤالها)

_ وما الذى تريده إذا؟ (سألتنى بخفة)، فأجبتها على الفور:

_ أود مر افقتك فى الغد عندما أعود إلى حياتى القديمة مجددا.

_ وهل أخبرت الملك رودولف إذًا؟ (تساءلت فلافيا)

_ أظنني لم أعد بحاجة ذلك؛ فقد توليتِ الأمر منذ قليل. (ضحكت قائلًا)

_أووه، لم أقصد فعل هذا. (قالت)، وقد احمرَّ وجهها من شدة الخجل، فأمسكت بذقنها وأعدت عينها إلى عيناي مرة أخرى، وقلت لها:

_ مهما حدث؛ لا تبعدي بناظريك عني مجددا.

_أعدك بأنني لن أفعل. (همست لي بصوت رقيق)، وقد رسمت على وجهها تلك الابتسامة الرائعة، فتابعت حديثي إليها قائلا:

_ غدًا سينتهي كل شيء، عندما يأتي أخي روبرت إلى روريتانيا مصطحبًا زوجته روز لحضور حفل الترحيب _الذي أعده الملك لشكر مساعدتهما في إنقاذه_؛ عندئذ سأخبره بحقيقة مشاعرنا، وأطلب منه أن يصارح الملك بهذا.

_ أظنها فكرة جيدة، ولكن أرجو أن يتفهَّم الأمر. (تمنت فلافيا)

_ لا عليكِ! فقد أعددت لهذا جيدًا، وأعلم بأنه لن يمانع ذلك؛ فقد سبق وأن عثر أيضًا على ما يريد.

قلت و أنا أشير بناظراي إلى الملك؛ الذي يجلس هناك بجوار ديفيلن، يتبادل كلاهما نظرات الحب والإعجاب، فعلَّقت فلافيا على هذا:

_ أوه نعم أرى ذلك؛ إذًا سأعود الآن إلى القصر، وموعدنا غدًا عند بداية الحفل.

_ يا لها من أمسية! (همس فريتز في أذني)

فأجبته متبسمًا:

_ نعم إنها كذلك، ولكنني أود لو تنتهي سريعًا؛ فأنا بانتظار يوم غد بحفاوة أكبر.

_ "لا تتعجل حلول الغد فهو قادم لا محالة، ولكن فلتحيا يومك أولًا بكل ما يحويه من فرح وسرور، ودع الغد يأتي عندما يحين موعده".

_ يا لها من كلمات رنانة لم أسمع بها من قبل! (علقت على قول فريتز)

_ وكيف عساك أن تفعل بين تلك الأجواء المليئة بالمطاردات والمعارك؟! (أجابنى بابتسامة عريضة)، ثم تابع قائلا:

_وأما الآن فهو الوقت المناسب لقضاء أمسية حقيقة بين الأصدقاء؛ وليس الجنود! حسنًا إذًا فلتبدأ حفلتنا الصاخبة. (عقبت على هذا بسعادة كبيرة)

إعتلينا جميعا ساحة الرقص، ومن ثم بدأنا الإحتفال على الطريقة الأكثر ضجيجا، وسرعان ما مضت ليلتنا الر اقصة كسائر الأوقات الجميلة الأخرى؛ فلم أدرك حقيقة ما قاله فريتز عن سرعة مُضي تلك الأوقات؛ حتى انتهت بالفعل بسرعة كبيرة.

وها هو ذا اليوم المنتظر! إذ شارفت الساعة على بلوغ السابعة صباحًا؛ فإذ بي أسمع ذلك الصوت على باب غرفتي، ولا عجب أن كان الطارق هو الشخص الذى ظننت.

_ تفضل بالدخول أيها الطارق. (أجبته بنبرة ضاحكة)

_ لم أظنك بحاجة مَن يوقظك في مثل ذلك اليوم؛ أليس من المفترض أنك لم تنم في ليلة أمس؟! (تحدث إليَّ فريتز وهو يمازحني على طريقته الخاصة)

_ لا بأس؛ فلا زال الوقت باكرًا جدًا على حلول المساء. (عقبت عليه)

_ إذًا! فأنت لم تتعلم الدرس بعد. (علق فريتز ضاحكًا)

فشاركته إياها، ومن ثم ذهبنا معًا إلى الأسفل حيث كان سابت بإنتظارنا، وقد بدأ عمله بمتابعة كافة الترتيبات لحفل المساء، وقد تودد إليه بجميل صنيعه من أجل

عائلتي، ومن ثمَّ بدأت في مشاركته مع فريتز، وقد إنضم إلينا الملك كذلك فيما بعد فوراستيقاظه في وقت الظهيرة؛ قُرابة الساعة الواحدة.

تتابعت الأحداث المألوفة في الإعداد لحفل كبير_ولكن على المستوى الشخصي_ حتى مضى الوقت كالبرق دون أن نشعربه، وحل موعد إنطلاقة الحفل بوصول أخي اللورد بيرلسدون برفقة زوجته روز إلى قصرعائلة ألفبرج.

فأسرعت لاستقبالهم بحفاوة بالغة، وكانت روز سعيدة للغاية برؤيتي مجددًا؛ فيبدووكأنها قد علمت أخيرًا بأنني لم أكن يومًا ذلك الشخص الكسول؛ الذي لا يمكنه تحمل المسؤولية.

وها هوذا الملك رودولف يتناوب دوره في الترحيب باللورد، وقد أعطى إشارته ببدء الحفل؛ فأخذنا نرقص جميعنا إعلانًا عن بدايتها.

وبعد أن انتهينا.. قررت فلافيا أن تذهب إلى الملك على الفوروتخبره بحقيقة ما يدوربيننا، مخالفة بذلك إتفاقنا بأن أخي هومَن سيتولى القيام بهذا.

وقد علقت على هذا بأنها ترى أنه من الأفضل لوتتولى بنفسها ذلك الأمر، فيجب عليها أن تقوم به بصفة شخصية؛ كما قالت بأن عليها أن تفعل.

وبينما هي الآن في طريقها إلى الملك؛ لفت انتباهي خطوات ديفيلن التي كانت تتقدم بإتجاهي؛ حتى توقفت أمامي مباشرةً، ومن ثم بدأت حديثها إليَّ عن الليلة الماضية؛ حيث قالت:

_ أشكرك كثيرًا على تدخلك لإنقاذي.

فأجبتها:

_ لا بأس؛ فقد أوفيت بديني ليس إلَّا.

_ أوه نعم، أذكَّر ذلك. (ضحكت ديفيلن)، ثم تابعت:

_ ولكن هناك شيء آخر عليَّ إخبارك به.

_ لا عليك، فأنا أعلم جيدا بما يدور بينك وبين الملك رودولف؛ فقد شاهدت ذلك بالأمس عندما أسرع إلى القلعة لإنقاذك. إنه يحبك كثيرًا، أليس كذلك؟

_ بلى؛ ولذا فلا يمكنني الزواج منك، ءأسف لإخبارك بهذا.

_ لا داعي للأسف؛ فقد سررت كثيرًا لسماع ذلك.

في الحقيقة..! كنت سأصارحك بالشيء عينه؛ لولا أنني لم أجرؤ على قول هذا.

وفي الوقت عينه من الجهة الأخرى، كان الحوار عينه قائمًا بين الملك الخامس والأميرة فلافيا؛ حيث أخبرته بما يلي:

_ أيها الملك رودولف! أعلم أن أمثالنا من العائلات الملكية دائمًا ما تحكمهم القوانين التي يتوجب عليهم إتباعها في شتى أمور حياتهم؛ وقد فعلت هذا من قبل عندما تركت راسندل يعود لبلدته دون أن أصارحه بحقيقة ما أشعر به تجاهه، ولكن ليس بعد الآن! فلن أدعه يرحل بمفرده مجددا بعدما عاد من أجلي.

_ لا عليك! فأنا أعلم هذا جيدًا؛ لقد رأيت ذلك في الليلة الماضية؛ فأنتِ لم تكوني هناك من أجلي؛ و إنما من أجل راسندل. صحيح؟

_ بلى؛ ولذا فلا يمكنني الزواج منك، ءأسف لإخبارك بهذا.

_ لا داعي للأسف؛ فقد سررت كثيرًا لسماع ذلك.

في الحقيقة..! أردت أن أصارحك بالشيء عينه؛ لولا أنني لم أجرؤ على قول هذا.

وكانت المسافة التي تفصل بيننا كافية؛ لكي يسمع جميعنا تشابه الحديث الجاري بين ثنائياتنا المتضاربة الأطراف، وعندئذ تبادلنا جميعا نظرات كوميدية، وما لبث أن علت أصواتنا بالضحك، وبدأت حفلة الرقص الحقيقية؛ حين رقص كلًا منا مع شريكه الذي اختاره لنفسه.

أظن هذه هي أسعد نهاية نحظى بها لقصتنا، أليس كذلك يا ابن العم؟ (سألني الملك)

وعندها تنفس فريتز الصعداء، وقد تسلم الإجابة بدلًا مِني:

_ بالطبع إنها كذلك! فأنا سعيد للغاية بأن الأمور قد جرت على ما يُرام للمرَّة الثانية، أظن بالفعل أننا قد وصلنا أخيرًا لنهاية المطاف.

_ ما رأيك بهذا يا راسندل؟، أتظن حقًا بأن رحلتنا قد انتهت؟! (سألني سابت)

فأجبته و أنا أعد لمفاجأة ثمينة:

_ نعم؛ فكما هو الحال دائمًا يا صديقي سابت.. تنتهي حكاية لتبدأ حكاية أخرى، وهكذا تجري الأمور. (قلت هذا)، ومن ثم وضعت يدى في جيبى، وأخرجت خارطة الكنز الحقيقية.

فجحظت عيني فريتز، ونظر الجميع بعضهم إلى بعض تملأ وجوههم علامات السرور والدهشة، ومن ثمَّ انتزع الملك الخارطة من يدي وأخذ يتفحصها جيدًا.

_ ما هذا! إنها خارطة كنزروريتانيا؟! (سأل الملك وأجاب على نفسه في آنٍ واحد)، ثم تابع:

_ ولكن كيف فعلتها؟؛ فقد رأيت هذا بأم عيناي؛ عندما ألقى بها سبانرداخل تلك الشعلة بين ألسنة اللهب.

_ وماذا ظننت يا سيدي!! ما كنت لألقي إليه بالخارطة الحقيقة قط مهما كلفني الأمر.

_ أشكرك كثيرًا يا راسندل. (عقب الملك)

عندئذ نظرت إلى أعين الجميع؛ فبدوا وكأنهم يفهمون ما أرمي إليه من نظراتي؛ التي عقبتها بسؤال ألقيته على جميعهم:

_ والآن أخبروني يا رفاق! مَن منكم مستعد لخوض مغامرة جديدة للبحث عن كنز روريتانيا المفقود؟!

وها نحن ذا مرَّةً أخرى!!

إلى اللقاء في الجزء الثالث بعنوان..

كنز روريتانيا المفقود

Ruritania missing treasure

فهرست

الفصل الأول "رسالة مِن صديقٍ قديم"..... 5

الفصل الثاني " في طريقِ العودَة " 24

الفصل الثالث "ليلَة اختِطاف الملِك".....41

الفصل الرابع "صِدَام مع الماضي" 83

الفصل الخامس "في قَصرِ بيرلسدون".....113

الفصل السادس "لقاءٌ غير متوقّع..!" 132

الفصل السابع "تارِيخ المُلوك" 151

الفصل الثامن "خطَّة لاستعادة المَلك" 169

الفصل التاسع "اللِّقاء الأخير" 186